مجموعة العمل
من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

دمٌ واحد... حُلُمانِ

فِلسطينيُّونَ في قلبِ الثَّورة السُّوريّة

إعداد

قسم الدراسات والأبحاث

دمٌ واحد...حُلُمانِ

فِلسطينيُّونَ في قلبِ

الثَّورة السُّوريّة

إعداد

قِسمُ الدّراساتِ والأبحاثِ

مجموعة العمل
من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

الفِهرَسُ

مقدمة ٠٤
تمهيد ٠٦
صائدُ الدّباباتِ.. نورُالدّين قَرعِيش "أبو بَحر الفِلسطينيّ" ٠٩
محمّد قنيطة.. صقرُ الأحرارِ من غزّةَ إلى الشّامِ ١١
أسدُ الغوطةِ.. عزُّالدّين يوسف علي "أبو النور الفلسطينيّ" ١٣
موسى الطّفوري.. أسطورةُ درعا التي لا تلينُ ١٥
عمّار أبو سريّة (أبو قصيّ) قائدُ عمَليّات الجنوب ١٧
"عرَفات عوَض".. قائدُ "شهداء الأقصى" في درعا ١٨
قحطان طَبَاشَة.. عقيدُ أركانٍ من أحرارِ جيشِ التّحريرِ الفِلسطينيّ ١٩
خالد حسَن.. عقيدٌ من أحرارِ جيشِ التّحريرِ الفِلسطينيّ ٢٠
المُلازِم إياس النّعيمي.. من أحرارِ جيشِ التّحريرِ الفِلسطينيّ ٢١
شادي السّعد.. "أبو جندل اليرموك" ٢٢
بهاء صقر.. صقرُ مخيّمِ اليرموك ٢٤
أبو هاشم زغموت.. الشَّجاعةُ والإقدامُ ٢٦
محمود أبو ربيع.. فارسٌ ترجَّلَ في معركة "مطّار منّغ" ٢٧
عصام البَيطاري.. حارسُ اليرموك والضّميرُ الثّائرُ ٢٨
شحادة الشّهابيّ.. مهندسُ الصُّمودِ، مناهضُ الغَزوِ ٣٠
نجوى.. بطلةٌ وخنساءُ فلسطينيّةٌ في الثَّورةِ السُّوريّةِ ٣٢
يونُس دسوقي.. بينَ المِنبرِ والمَعركةِ صوتُ المُخيَّمِ المُعلَّقِ ٣٤
سمير البَرناوي.. القياديُّ الحرُّ في "حيّ التّضامُنِ الدّمَشقيّ" ٣٨
أمجد أبو حامد. بطل الرمل الجنوبي ٣٩
جهاد علي الوَحش.. عاشقُ الشّهادةِ ٤٠
مَروان الحَلبي.. أيقونةُ الصُّمودِ، ثائرٌ حتّى الرَّمقِ الأخيرِ ٤٢
يحيى حوراني "أبو صهيب".. حارسُ المُخيَّمِ الوَفيّ ٤٣

فاتِن "أم سميح".. أمُّ الكُلِّ في الغوطةِ الشّرقيةِ ٤٥
مصطفى الشّرعان "أبو معاذ".. بسمةٌ على شفاهِ المُحتاجينَ ٤٧
خالد بَكراوِي.. أيقونةُ العطاءِ وصرخةُ اليرموكِ ٤٨
خالد الخالِدي.. "أبو ماريّا" الشُّجاعُ المُتَفاني ٥١
باسل خَرطَبيل.. رائدُ الإنترنت الحُرِّ ٥٢
فؤاد العُمَر "أبو باسل".. الإغاثيُّ والمناضِلُ الحُرُّ ٥٤
عصام خزاعي.. ساعي الخير للمحاصرين جنوب دمشق ٥٥
الطَّبيب هايل حمّيد.. كلمةُ الحقِّ ودواءُ الجرحى ٥٦
الطّبيب أحمد الحسَن.. جرّاحُ المُخيَّمِ الّذي آثرَ القَسمَ على النّجاة ٥٨
الطبيب عادل الحصان.. دفع حياته ثمناً لخدمة الثوار في درعا ٦٠
الطّبيب حسّان مصطفى.. قمرٌ فِلسطينيٌّ في الثَّورة ٦١
الطبيب خلدون الملاح.. جرّاح في زمن الحصار ٦٣
رامي أحمد بكر.. "لوجستيُّ" المشافي المَيدانيّةِ ٦٤
مُهنّد عُمر.. صحفيٌّ حرٌّ في وجهِ الكذِبِ والظُّلمِ ٦٥
حسّان حسّان.. فنّانُ الحصارِ وقصيدةُ الصّمتِ ٦٧
بشّار مُصلِح وعلي المصلِح.. رفقاءُ الثَّورة والإعلامِ الحُرِّ ٦٩
وسام الغول.. أوّلُ شهيدٍ فلسطينيٍّ في الثَّورة السُّوريّة ٧٠
علاء السَّهْلي.. أوَّلُ شهيدٍ فلسطينيٍّ في مُخيّمِ اليرموكِ ٧١
خالدُ البنَّا.. أوَّلُ شهيد من أبناءِ "مخيَّمِ الرَّمْلِ" في الثَّورةِ السُّوريّةِ ٧٢
إسماعيل فلاحة أحد مؤسسي ثورة درعا وبطلها المنسي ٧٣
محمد عريشة أبو العبد. شهيد الإغاثة ٧٥
سوسن علوش أم أحمد... امرأة حملت المخيم في قلبها ٧٦
خاتمة ٧٥

مقدمة

لم يكنِ الفِلسطينيُّ في سورية مجرَّدَ ضيفٍ على أرضٍ احتضَنَتْهُ، بل كان جُزءًا من نسيجِها الاجتماعيّ والإنسانيّ، من ترابِها الّذي شاركهُ الخبزَ والأملَ والمصيرَ، وُلِدَ جيلٌ كاملٌ من الفِلسطينيّينَ في أزقّةِ حِمصَ ودرعا ودمشقَ وحلبَ واللّاذقيّةَ وغيرِها، حمَلوا في قلوبِهم خريطةَ فِلسطينَ، وفي مَلامِحِهم مَلامحُ السُّوريّينَ الّذين عاشوا بينَهُم وتقاسموا معَهُمُ الحياةَ والهمَّ.

وحينَ دوّى النِّداءُ الأوّلُ للحريّةِ في شوارعِ درعا عامَ ٢٠١١م، لم يتردَّدِ الفِلسطينيّونَ في الإجابةِ، لم يكنِ الأمرُ قرارًا سياسيًّا أو موقِفًا عابِرًا، بل كان نداءً إنسانيًّا عميقًا مسَّ جوهرَ ما آمَنوا بِه: أنَّ الكرامةَ لا تتجزّأُ، وأنَّ من ذاقَ مرارةَ اللُّجوءِ لا يمكنُ أن يقفَ صامتًا أمامَ الظُّلمِ.

في تلكَ السّنواتِ الّتي اختلَطَ فيها الغُبارُ بالدُّخانِ، توحّدَ الدّم على الأرضِ السُّوريّة، صارَ الدمُ الفِلسطينيُّ امتدادًا للدّمِ السوريّ، لا فرقَ بين شهيدٍ سقَطَ في "اليرموكِ" وآخرَ في "بابا عمَرو"، بين مُعتقَلٍ في "صيدنايا" وآخرَ في "عدرا"، كان الحلُمُ واحدًا - أنْ يعيشَ الإنسانُ حرًّا - لكنَّ الطَّريقَ إليهِ كانتْ مُزدَوَجةً: طريقَ العودةِ إلى فلسطينَ، وطريقَ التّحرُّرِ في سوريا، ومن هُنا جاءَ عُنوانُ هذا العملِ :دمٌ واحدٌ... حُلُمَينِ.

هذه المادّةُ ليستْ سجلًّا للتّواريخِ الجافّةِ، بل ذاكرةٌ نابضةٌ ببعضِ الأسماءِ والوجوهِ والأصواتِ، لأبناءِ المخيّماتِ الّذين صدَقوا الثَّورة كما صدَقوا حلُمَهُمُ الأوّلُ بالعودةِ، بعضُهُم حمَل حقيبَته الطِّبّيَّةَ إلى المشافي المَيدانيّةِ، وآخرونَ حمَلوا "الكاميرا" لتوثيقِ الألَمِ، وغيرُهُم حمَلوا السِّلاحَ لِيَحرُسوا حلُمًا أكبرَ من حدودِ الجُغرافيا.

ولأنَّهم كانوا جُزءًا منَ الحكايةِ، دفعوا الثَّمنَ كاملًا: شهداءُ تحتَ التّعذيبِ، مفقودونَ في الزّنازينِ، مشرَّدونَ في المنافي، وأمهاتٌ ينتَظِرْن بلا خَبَرٍ.

في كل قصةٍ من قصصِهم، يتكرَّرُ السّؤالُ ذاتُه: كيفَ يمكنُ لإنسانٍ عاشَ لجوءَهُ الأوَّلَ أن يتحمَّلَ لجوءًا ثانيًا؟ وكيف يمكنُ لذاكرةٍ مُثقَلةٍ بالنّكبةِ أن تحتَملَ وجعَ الثَّورة والحصارِ والخُذلانِ؟

هذهِ المادَّةُ إذنْ؛ محاولةٌ للإنصات إلى الأصوات التي خنقَها الغبارُ، وإلى بعضِ القصصِ التي كادَتْ تُمحى منَ الذّاكرةِ، هو حفظٌ للوجوهِ قبلَ أن تضيعَ، وللحكاياتِ قبل أنْ تُنسَى، وتوثيقٌ لإنسانيّةٍ لا تعرفُ الحدودَ بين وطنٍ وآخرَ، لأنَّ الدَّم حينَ يسيلُ من أجلِ الكرامةِ لا يَسألُ عنِ الهُويَّةِ.

هناك مئاتُ القصصِ والحكاياتِ لِفلسطينيّينَ قضَوا وقدَّمُوا الغاليَ والنَّفيسَ خلال الثَّورة السُّوريّة، ترَكُوا وراءَهُم عائلاتٍ وأبناءً وأمهاتٍ وزوجاتٍ، تستحضِرُ المجموعةُ عددًا منهَا.

تمهيدٌ

منذُ أكثرَ من سبعةِ عقودٍ، شكَّلَ اللَّاجئونَ الفلسطينيّونَ في سوريا عُنصرًا ثابتًا في النَّسيجِ الاجتماعيّ والسّياسيّ السّوريّ، ووفقًا لوكالة "أونروا"، بلغَ عددُ الفِلسطينيّينَ المسجَّلينَ لديها في سورية حتّى تشرينَ الثّاني/ نوفمبر ٢٠١٣م: (٥٦٤,٦٩١) لاجئًا، يعيشُ نحو ٢٧٪ منهم في المخيَّمات، بيْدَ أنَّ العددَ الفعليَّ للفِلسطينيّينَ المُقيمينَ في سوريا تجاوزَ ٦٥٠ ألفَ فلسطينيٍّ، حيثُ يوجدُ آلافٌ غيرَ مسجَّلينَ لدى "أونروا"، وتوزَّعَ اللَّاجئونَ الفلسطينيُّونَ على المخيَّمات والتَّجمُّعاتِ الفِلسطينيَّةِ في سورية.

وعندما اندَلعَتْ ثورةُ الشَّعبِ السُّوريّ في ٢٠١١م، وجدَ الفِلسطينيَّونَ أنفسَهم أمامَ مُفترَقٍ كبيرٍ: - كونُهُم لاجئينَ في بلدٍ مُضطَّربٍ - وهُم - معَ ذلكَ - جزءٌ منَ الحراكِ والمِحنةِ، فتَعرَّضوا لنفسِ الانتهاكاتِ التي طالَتِ السُّوريّينَ، بل وأحيانًا بأكثرَ من ذلكَ.

فعَلى سبيلِ المِثالِ: وثَّقَتْ "مجموعةُ العملِ من أجلِ فِلسطينيّي سوريةَ" قضاءَ (٤٩٦٥) لاجئٍ فلسطينيٍّ، بينَهم (٢٨٧) طفلًا تحت سن الـ ١٨ عامًا، فيما بيَّنَتِ الإحصائياتُ الإجماليّةُ لـ "مجموعةِ العملِ" تعرُّضَ (٧٢٣٧) لاجئٍ فلسطينيٍّ للاعتقالِ، منهم (٦٩٤٠) ذكرًا و (٢٧١) أنثى، ويبلغُ عددُ المختَفينَ قسريًّا (٦٦٧٥).

وتُظهِرُ بياناتُ "مجموعةِ العملِ" قضاءَ (١٣٠٥) معتقلٍ فلسطينيٍّ في سجونِ النِّظامِ السّوريّ البائدِ، ومراكزِ الاعتقالِ، وهوَ العددُ الذي استطاعَتِ المجموعةُ توثيقَهُ خلالَ الفترةِ المُمتدَّةِ منذُ بدءِ الثَّورة السُّوريّة في شهرِ آذار/مارس ٢٠١١م، ولغايةِ سقوطِ النّظامِ السّوريّ في كانونَ الأوّل/ديسمبر ٢٠٢٤م.[١]

[١] **الحصادُ الموجِعُ**، قسم الدراسات والأبحاث في مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا، آب / أغسطس ٢٠٢٥، (تاريخ الدخول: ١٥تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٢٥): https://url-shortener.me/15KY

وفيما يتعلّقُ بالتّهجيرِ والنُّزوحِ، فقدْ أشارتْ تقاريرُ إلى أنَّ أكثرَ من ٢٠٠ ألفِ فلسطينيٍّ-سوريٍّ غادَروا سوريا حتّى نهايةِ عامِ ٢٠٢٢م، كما طالَتِ انتهاكاتُ النظامِ

قصفَ ومحاولةَ تدميرِ المخيَّمات والتَّجمُّعاتِ الفِلسطينيَّةِ التي خرجتْ عن سيطرتِه، كمُخيَّمِ اليرموكِ ودرعا وحَندَرات وتجمُّعِ القابونِ وغيرِها بريفِ دمشقَ.

في الجانبِ المقابِل، لعبَ آلافُ اللّاجئينَ الفلسطينيّينَ - أفرادًا وجماعاتٍ - أدوارًا مختلفةً لمساندةِ الشَّعبِ السُّوريّ ضدَّ النِّظامِ البائدِ خلالَ الثَّورة السُّوريّة التي انطلقَتْ عامَ ٢٠١١م، قضَى خلالَها مئاتُ الأطبَّاءِ والمسعِفينَ والإعلاميّينَ والنَّاشطينَ الإغاثيّينَ، وتلكَ لمحةٌ عن ذلكَ:

الدَّورُ الطِّبِّيُّ والإغاثيُّ:

تحوَّلَ الكثيرُ منَ الشَّبابِ الفلسطينيّ في المخيَّماتِ والتّجمُّعاتِ الفِلسطينيّةِ والمدنِ إلى مُتطوّعينَ أو مُسعفينَ أو عاملينَ في "مستشفياتٍ ميدانيّةٍ" أو "بيوتٍ آمِنةٍ" داخلَ المُخيَّماتِ والمناطقِ المتضرّرةِ، حيثُ قاموا بنقلِ الجَرحى وتأمينِ بعضِ الموادِّ الطبّيّةَ، كما قاموا بأعمالِ الإغاثةِ، فوزّعوا المساعداتِ، وسارعُوا لإنشاءِ مراكزِ إيواءٍ وأسَّسوا عياداتٍ مؤقَّتةً للّاجئينَ الفِلسطينيّينَ النَّازحينَ وغيرِهِم.

الدَّورُ الماليُّ:

أطلقَتْ جمعياتٌ أهليّةٌ وخيريّةٌ في سوريةَ ومن داخلِ فلسطينَ - خلالَ الثَّورة السُّوريّةِ - حملاتٍ لجمعِ تبرُّعاتٍ ضخمةٍ بلغَتْ ملايينَ الدُّولاراتِ لتنفيذِ مشاريعَ إغاثيّةٍ وإنسانيّةٍ في سوريةَ عمومًا وشمالِها خاصّةً في مناطقِ سيطرةِ المعارضةِ، وتوسَّعتِ المشاريعُ لتشملَ مشاريعَ تنمويَّةً مستدامَةً، أبرزُها: قرىً سكنيّةٌ وتطويرُ بنىً تحتيّةٍ.

الدّورُ العسكريُّ:

دعمَ آلافُ الفلسطينيينَ الثَّورةَ السُّوريّةَ أو شاركوا كمقاتلينَ أو كمُتطوّعينَ، أو ضمنَ خدماتِ الدعمِ خلفَ الخطوطِ، وتجاوزَ عددُ المشاركينَ عسكريًّا الـ ١٨ ألفَ مقاتلٍ فلسطينيٍّ من سوريةَ وخارجِها، بحسبِ بعضِ الدِّراساتِ.

وانخرطَ المقاتلونَ الفلسطينيّونَ في الكتائبِ والمجموعاتِ العسكريّةِ التّابعةِ للمعارضةِ السُّوريّةِ المسلَّحةِ، كما شكَّلوا تنظيماتٍ عسكريّةً في عددٍ منَ المخيَّماتِ الفلسطينيَّةِ فضلًا عنِ انخراطِهِم، كانَ من أبرزِها: كتائبِ "أكنافِ بيتِ المقدسِ"، ويؤكِّدُ العقيدُ "قاسم سعد الدّين" المتحدِّثُ السابقُ باسمِ القيادةِ المشتركةِ للجيشِ السُّوريّ الحُرِّ أنَّ: "الفلسطينيّينَ يقاتلونَ الى جانبنَا وهُم مدرَّبون تدريبًا جيّدًا".

هذهِ الأرقامُ والوقائعُ، توضِّحُ أنَّ الفلسطينيّينَ في سوريةَ عاشوا مأزقًا مزدوَجًا: أولًا: كلاجئينَ بلا وطنٍ، وثانيًا: كأطرافٍ في صراعٍ ليسَ بالضَّرورةِ منَ اختيارِهِم، معَ كلِّ ما رافقَ ذلكَ من فِقدانٍ واعتقالٍ وتشريدٍ وتدميرٍ للمُخيَّماتِ، وفي طرفِ الثَّورةِ السُّوريّةِ أثبتَ الفلسطينيّونَ فعاليّتَهُم وانخراطَهُم في ميادينِها، هذا الواقعُ يجعلُ من سردِ قصصِهِم ليسَ مجرَّدَ توثيقٍ، بل واجبًا إنسانيًّا لتثبيتِ الذّاكرةِ.

صائدُ الدَّبّاباتِ: نورُ الدّين قَرعِيش "أبو بَحر الفِلسطينيّ"

في صباحِ يومِ الثلاثاءِ ٢١ تشرينَ الثّاني ١٩٨٩م، وُلدَ "نورُ الدّين قرعِيش"، الّذي عُرفَ لاحقًا بـ"أبو بَحر الفلسطينيّ"، في مخيَّم اليرموكِ بدمشقَ، ذلكَ المُخيَّمُ الذي كانَ - وما يزالُ - رمزًا للكرامةِ والأحلامِ المُؤجَّلةِ للفلسطينيّينَ في الشَّتاتِ، نشأَ "نورُ الدِّينُ" في بيئةٍ بسيطةٍ، يملؤُها الحنينُ لِوَطنٍ لم يرَهُ، ولكنَّهُ عاشَ تفاصيلَه في حكاياتِ أجدادِه وصورِ الشُّهداءِ.

توقَّفَ تعليمُه عندَ الصّفِّ الثامنِ لِيتَّجهَ نحوَ مهنةِ المطابخِ والألمنيوم، الّتي أتقنَها بشغَفٍ وحرْصٍ على التّميُّزِ فيها، في عامِ ٢٠٠٣م، انتقلَ معَ عائلتِه للعيشِ في "جديدةِ عرطوزِ البلَد" بريفِ دمشقَ، حيثُ استقرَّ وأكملَ مسيرتَهُ المهنيّةَ، مُكوّنًا صداقاتٍ واسعةً وعلاقاتٍ مبنيّةً على الاحترامِ، فقد كان محبوبًا وموضِع تقديرٍ بينَ الجميعِ.

معَ اندلاعِ شرارةِ الثَّورةِ السُّوريّةِ في ١٥ آذار ٢٠١١م، تابعَ "نورُ الدّين" الأحداثَ المتسارِعةَ بتأمُّلٍ وقلقٍ، ولم يستطِع قلبُه الفلسطينيُّ - الذي تربّى على رفضِ الذُّلِّ وحبِّ الكرامةِ - أن يبقى على الحيادِ أمام مشاهدِ القتلِ والاعتقالِ وانتهاكِ الحرماتِ.

دفعَتْهُ قناعتُه بأنَّ الظلمَ واحدٌ والصمتَ خيانةٌ، إلى الانضمامِ لصفوفِ الفصائلِ المعارِضةِ وتحديدًا معَ مجموعةِ "القائدِ أبو صدّام"، حيثُ قاتلَ معهُم قرابةَ أربعةِ أشهرٍ، ورغمَ قلقِ والدتِه ومحاولاتِها إبقائَهُ بعيدًا عنِ الخطرِ، إلا أنّه وجدَ الدَّعمَ من والدِهِ

وأخيهِ، الذّينَ كانوا يرونَ أنَّ ولادتَهُم في سوريةَ وشُربِهم من مائِها يجعلُ الدِّفاعَ عنها واجبًا، وأنَّ سوريا وفلسطينَ هما بلادُ الملايينِ من الشهداءِ في هذا العصرِ.

بعدَ تلكَ الفترةِ، انتقلَ نور الدّينِ إلى مدينةِ داريّا بريفِ دمشقَ - إحدى أيقوناتِ الثَّورةِ السُّوريّةِ ومعاقِلِها، وواصلَ فيها عملَه الميدانيُّ لثلاثةِ أشهرٍ، هناك؛ عُرفَ بصلابتهِ وشجاعتهِ النَّادرةِ، واكتسبَ لقبَ "صائدِ الدّباباتِ" لِجُرأتِه ومهارتِه في التّعاملِ مع سلاحِه خلالَ المواجهاتِ، وباتَ اسمُه: "أبو بحْر الفلسطينيّ"، أحبّهَ رفاقُه، وشهِدَ لهُ "وائل الشّيخ مُحمّد" (أبو مُحمّد) - رفيقُه في داريّا وخانِ الشّيحِ - بأنَّه كان: "مِن أشرسِ المقاتلينَ... صاحبُ نفسٍ خفيفةٍ، يُحبُّ المزاحَ، وشابٌّ لا يُشبهُ غيرَه... كانَ جبَلًا".

في يوم استشهادِه، الموافقِ لـ ٢٠ شباط ٢٠١٣، كان "أبو بحر" في مهمّةٍ ميدانيّةٍ خطيرةٍ بمنطقةِ "مقامِ السّيّدةِ رقيّة"، عندما أصيبَ شابٌّ برصاصِ قنّاصٍ في منطقةٍ مكشوفةٍ، فأصرَّ "أبو بحر" على إنقاذِه رغمَ التّحذيراتِ، ركضَ في العراءِ، وتمكَّنَ من حملِ الشّابِّ المصابِ على كتفِه، وفي تلكَ اللحظةِ الحاسمةِ، أطلقَ القنّاصُ رصاصَتَه، لِتستقِرَّ في جسدِ "أبي بحر"، ويسقطَ شهيدًا بإذنِ اللهِ في تمامِ السّاعةِ ١١:١٥ صباحًا فوقَ رفيقِه الذي سعى لإنقاذِه.

لم يكنِ الشّهيدُ نورُ مجرَّدَ مقاتلٍ؛ بل كان رمزًا للولاءِ والانتماءِ المزدوَجِ، حيث توحَّد وطنانِ في دمِه، فلسطينيُّ المولِدِ، سوريُّ الفِداءِ، مضى في دربِه دون تردُّدٍ، كما يليقُ بأبناءِ القضايا الكُبرى، لِأُمِّهِ، التي زرَعَتْ في قلبِها شجرةَ وطنٍ سقَتْها بِالحُبِّ، فأنبتَتْ شهيدًا، ولأبيهِ الذي بارَكَ خطاهُ، ولإخوتِه وأحبابِه: إنَّ نورَ الدّينِ لم يَمُتْ، بل خلَدَ اسمُه في صفحاتِ المجدِ، وصارَ صدىً لُكلِّ شهيدٍ فلسطينيٍّ، وصوتًا لكلِّ مظلومٍ سوريٍّ، وجسرًا حيًّا يربطُ الجُرحَينِ.

لقد رحلَ لِيوقِظَ الضّمائرَ ويُخلِّدَ ذكراهُ في قلوبِ الأحرارِ. هنيئًا لهُم به، وهنيئًا لهُ بهِم، وهنيئًا لِفلسطينَ وسوريا بهذا اللِّقاءِ المُقدَّسِ فيهِ. (بشّارُ الخطيب - أبو يزن الشّامي).

مُحمَّد قنيطَة.. صقرُ الأحرارِ من غزَّةَ إلى الشَّامِ

كان رمزًا للتَّضحيةِ والبسالةِ، مُقدِّمًا نموذجًا للخبرةِ القتاليَّةِ التي انتقلَتْ من غزَّةَ إلى سوريَّةَ، وُلدَ "مُحمد قنيطَة" في مخيَّمِ الشَّاطئِ غربِ مدينةِ غزَّةَ، وبنَى فيها مسيرةً جهاديّةً حافلةً، حيثُ برزَ كقائدٍ ومدرّبٍ ضمنَ كتائبِ المقاومةِ الفلسطينيَّةِ، ولم تَقتصِرْ مساهماتُه على التّدريبِ فحسبُ، بل شاركَ بفاعليَّةٍ في العديدِ من المهامِ العسكريَّةِ ضدَّ قوَّاتِ الاحتلالِ في قطاعِ غزَّةَ، واكتسبَ خبرةً واسعةً في خُططِ الحربِ وحفرِ الأنفاقِ.

الرَّحيلُ إلى سوريا ودورُهُ فيها:

بعد أداءِ العمرةِ عامَ ٢٠١٢م، ورغم ظروفِهِ الماليَّةِ الصَّعبةِ، عزَمَ "محمد قنيطة" على التّوجُّهِ للمشاركةِ في الثَّورةِ السُّوريّة، وتمكَّنَ من ذلك بعدَ عيدِ الأضحى، ووصلَ إلى الشَّامِ أواخرَ عامِ ٢٠١٢م.

في سوريا، نقلَ "الصَّقرُ"، كما كان يُلقَّبُ في غزَّةَ، خبراتِهِ القتاليَّةِ المُتراكِمَةِ، وساهمَ بفاعليَّةٍ في تأسيسِ وتدريبِ معسكراتٍ للمعارَضةِ السُّوريّةِ، وقامَ بتخريجِ وتدريبِ ثلاثِ دوراتٍ عسكريَّةٍ للنُّخَبِ القتاليَّةِ و"الانغِماسِيّينَ" في صفوفِ الثَّورةِ السُّوريّةِ.

أكَّدَتْ شهاداتٌ مُتعدِّدةٌ من "شبابِ العصائبِ الحمراءِ" بسالَتَهُ وبراعتَه في ساحاتِ القتالِ، من غزَّةَ إلى سورية، وعندما اتَّصل به أصدقاؤُهُ من حركة "حماس" طالبِينَ عودَتَهُ إلى القطاع، كانَتْ إجابتُهُ قاطعةً: "إنّي لمْ أشعرْ بلَذَّةِ الجهاد إلّا في سوريا"، ما يعكِسُ قناعتَهُ التَّامّةُ بالمسارِ الذي اختارَهُ.

الاستشهادُ في إدلبَ:

في يومِ الخميسِ ٢٧ من كانونَ الأوَّل/ديسمبر ٢٠١٢م، انطلقَ "قنيطة" برفقةِ إخوانِهِ من الجيشِ السُّوريّ الحُرّ للمشاركةِ في معركةٍ حاسمةٍ للسيطرةِ على مطارِ إدلبَ العسكريّ، وأثناءَ عمليةِ اقتحامِ المطارِ، شنَّتْ طائراتُ النِّظامِ غاراتٍ جويّةً على الثُّوّارِ، وأصيبَ "محمد قنيطة" جرَّاءَ هذهِ الغاراتِ إصابةً بالغةً بشظايا في رأسِهِ وساقِهِ، وكان ذلكَ في تمامِ السّاعةِ الثانيةِ ظُهرًا.

ورغمَ خطورةِ إصابتِه، صمدَ "أبو عمر" حتَّى فجرِ اليومِ التّالي، حيث أُعلِنَ استشهادُه في تمامِ السّاعةِ الرَّابعةِ صباحًا، ووُرِي الثَّرى في مدينة سَرْمَدا شمالي سوريةَ.

بهذا، ختمَ "محمّد أحمد قنيطة" (أبو عمر)، مسيرةَ حياةٍ كرَّسها للجهادِ والمقاومةِ، تاركًا إرثًا من الشَّجاعةِ والخبرةِ التي امتدَّتْ تأثيراتُها من غزَّةَ إلى ميادينِ الشَّامِ.

أسدُ الغوطةِ.. عزُّ الدّينِ يوسُفَ عليّ "أبو النُّور الفلسطينيُّ"

يُروَى عنِ الشَّيخِ "وائل أبو مصطفى"، أحدِ قادةِ معركةِ "ردعِ العدوانِ"، سيرةَ القائدِ الشَّهيدِ "عزِّ الدِّين يوسف عليّ"، المعروفِ بـ "أبي النُّورِ الفلسطينيّ"، وُصِفَ أبو النُّورُ بـ "أسدِ مخيَّمِ خانِ الشِّيحِ"، و"المغوارِ"، و"الفارسِ الكرَّارِ"، واستُشهِدَ في رمضانَ، فجرِ يومٍ مباركٍ.

وُلِدَ "عزُّ الدِّينِ" في مخيَّمِ خانِ الشِّيحِ بريفِ دمشقَ، في ١١ نيسان/ أبريل ١٩٧٨م، تزوَّجَ وصار أبًا لِستَّةِ أبناءٍ، وكانَ من العناصرِ الفاعلةِ في حركةِ حماسَ بِسوريّا، عُرِفَ عنهُ حبُّهُ للجهادِ، ما دفعَهُ في عام ٢٠٠٣م، للسَّفرِ إلى العراقِ دفاعًا عن شعبِهِ في وجهِ الاحتلالِ الأمريكيّ، ليعودَ بعدها إلى سوريا بعدَ أن أدَّى ما يُمليهِ عليهِ ضميرُهُ.

القائدُ في الثَّورةِ السُّوريّةِ"

مع بداية المظاهرات السِّلميةِ في سوريا عامَ ٢٠١١م، وتصاعِد وحشية القمع، لم يستطِعْ "أبو النور" الوقوفَ مكتوفَ الأيدي، بِصِفَتِهِ فلسطينيًّا وُلِدَ وعشِقَ أرضَ سوريا، فبدَأ بالعمل مع رفاقه لتشكيل كيان مُسلَّحٍ للدِّفاع عن الشَّعب الأعزل وثورته، فكان أحدَ مُؤسِّسي وقادةِ "سرايا العِزِّ أكناف بيت المقدس الفلسطينيَّةِ" التي نشطَتْ في الغوطةِ الغربيَّةِ.

قادَ "أبو النُّور" وخاضَ عشرات الاشتباكات والمعارك ضدَّ قوَّات النِّظام في الغوطةِ الغربيَّةِ، ومن أبرز إنجازاتِه: قيادةِ معركةِ تحريرِ حاجزِ الـ٦٨ التَّابعِ للفرقةِ الرَّابعةِ، كما

مجموعة العمل
من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

استهدفوا نقاطًا عسكريّةً عديدةً في قطنا وأطرافِ صحنايا، وشاركَ في معاركِ الكسوةِ وزَاكْيَةَ.

تميَّزَ "أبو النُّور" بشجاعتهِ الفائقةِ، وأخلاقهِ الرَّفيعةِ، وابتسامتهِ العريضةِ، وقلبهِ الذي لا يعرِفُ الخوفَ، كان يُعرفُ بين رفاقهِ بـ "أسدِ الاقتحاماتِ" و"مُخطِّطِ المؤازَرَاتِ"، و"صمَّامِ الأمان في مخيَّمِ خانِ الشِّيحِ"، اشتُهِرَ بعبارته المتكرِّرةِ التي كان يرفَعُ بها معنوياتِ من حولَهُ: "بِنْدُوسْهُم شِيْخ".

كان دائمًا في طليعةِ القُوَّاتِ التي تلبّي نداءَ مدينةِ داريا المحاصَرَةِ، حيثُ كانوا يَصِلُونَ إليها عبرَ خنادقَ حفرُوهَا خِصِّيصًا لهذا الغرَضِ، تعرَّضَ لإصابتَينِ في قدمهِ ويدِه خلالَ المعاركِ، إلَّا أنَّ صيتَهُ ذاعَ كقائدٍ يُشكِّلُ هاجِسًا للنِّظامِ ومليشياتِه، ووَصلَ صدى اسمِه إلى فلسطينَ المُحتلَّةِ، لِما يُمثِّلُه من قيادةِ تنظيمٍ عسكريٍّ فلسطينيٍّ على مَقرُبةٍ من الحدودِ الشِّماليَّةِ لفلسطينَ.

تعرَّضَ "عزُّ الدِّينِ" للعديدِ من محاولاتِ الاغتيالِ التي لم تُفلِح، حتَّى أذِنَ اللهُ باستشهادِه فجرَ يومَ الأربعاءِ ٢٤ من رمضانَ ١٤٣٧ هـ، الموافقِ لـ ٢٩ حزيران/يونيو ٢٠١٦م، إثرَ قصفٍ جوّيٍّ استهدفَ منزلَهُ الكائنِ وسطَ مخيَّمِ خانِ الشِّيحِ، فارتَقى شهيدًا بإذنِ اللهِ معَ ابنهِ "صُهَيب"، ودُفِنا معًا في قبرٍ واحدٍ، وقد ذُكِرَ أنَّهُ استُشْهِدَ وهو صائمٌ ومتوضِّئٌ، يَهِمُّ بأداءِ صلاةِ الفجرِ أو أدَّاها.

بعدَ استشهادِه، تضاربَتِ الأنباءُ حولَ الجهةِ المسؤولةِ عنِ القصفِ، لكنْ وِفقًا لِتسريباتٍ من جهاتٍ أمنيَّةٍ تابعةٍ للفصائلِ الثَّوريَّةِ في المُخيَّمِ، فقد أُلقِيَ القبضُ على جاسوسٍ اعترفَ بأنَّ الطَّيرانَ الذي اغتالَ الشَّيخَ "عزّ الدينّ" كانَ إسرائيليًّا، فقادَتْ هذه الاعترافاتُ إلى كشفِ خليَّةٍ قامَتْ بزرعِ شرائحَ إلكترونيَّةٍ لتحديدِ مواقعِ قياداتٍ كأبي النُّورِ ومخازنِ أسلحةِ بعضِ الفصائلِ، بما فيها "سرايا العِزّ".

كان "أبو النُّور" معروفًا بشدَّتِه على قوَّاتِ النِّظامِ وميليشياتِه، لكنَّه كان - في الوقت ذاته - هيّنًا ليّنًا على أهالي المخيَّمِ، كما كان بمثابةِ صمَّامِ أمانٍ لمخيَّمِ خانِ الشّيح، يُلبّي حاجاتِ أهلِه من غيرِ تردُّدٍ، وقد بَقِيَ أهلُ المخيَّمِ يفتقدونَه في كلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ حتَّى اليومِ، وشهدَتْ جنازتُه إقبالًا شعبيًّا كبيرًا.

اختتَمَ الشّيخُ "وائل أبو مصطفى"، شهادتَه عن "أبي النُّور" بكلِماتٍ مؤثِّرةٍ، مؤكدًا أن ابنهم لم يمُتْ، بلِ ارتقى إلى صفَحاتِ المجدِ وسكنَ ضميرَ الأُمَّةِ، فهُمْ لمْ يَفقِدوا ابنًا، بل قدَّموا "وطنًا جديدًا في جسدِ رجلٍ".

سلامٌ على روحِهِ الطَّاهِرَةِ، وعلى قلوبِ أهلِهِ الذينَ قدموا بطلًا يُوقِظُ الضَّمائِرَ ويخلّدُ ذكراهُ.

موسى الطّفوري.. أسطورةُ درعا التي لا تَلينُ

كان "موسى الطّفوري"، المعروفُ بـ"أبي السِّنِّ الضَّحوكِ"، شخصيّةً محبوبةً ومحترَمةً للغايةِ، بفضلِ روحِهِ المرِحةِ والطَّيِّبةِ، وترَكَ بصمةً لا تُنسى في ذاكرةِ كلِّ من عرَفَهُ.

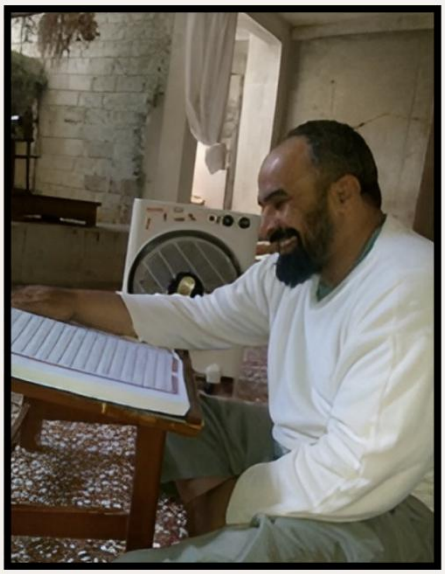

قصةُ رجلٍ استثنائيٍّ

في درعا -المدينةِ التي غالبًا ما تُضخِّمُ التفاصيلَ العاديَّةَ إلى أساطيرَ- كان "موسى الطّفوري" حالةً فريدةً، تعدَّدتِ الرِّواياتُ حولَ قوَّتِهِ الخارقةِ، فقيلَ إنَّه حمَل درَّاجةً ناريّةً بيدٍ واحدةٍ، ولَطَمَ ثورًا فأسْقَطهُ صريعًا، بل واقتلَعَ شجرةَ زيتونٍ بيديهِ العاريَتينِ.

هذه القصصُ، الّتي افتقَرَتْ للسِّياقِ الزَّمانيّ والمكانيّ، كانت تهدفُ لتوثيقِ تفرُّدِ "الطفوري" وعظمَته، حتّى أنَّ البعضَ كان يتحدَّثُ عن "إيدِ الطّفوري المشمّعة"؛ علامةً حمراءَ على يدهِ اليمنى: تعني أنَّه ممنوعٌ من ضرب أيّ أحدٍ لِقوَّتِه، وشاعَتْ مقولةٌ أنَّ شخصينِ فقط في سوريا يملِكانِ هذه القوَّةَ الاستثنائيَّةَ، وكان " الطفوري" يمتلِكُ متجرًا للطُّيورِ قربَ مدرسةِ زُبيدَةَ في منطقةِ المحَطَّةِ.

شجاعةٌ لا تعرِفُ الخوفَ، وشهادةٌ أسطوريَّةٌ

كان "موسى الطفوري"، ابنُ مخيَّمِ دَرعا للّاجئينَ الفِلسطينيّينَ، بطلًا شجاعًا، كانَ يَتنَقلُ بين الجبهاتِ على درَّاجتهِ النَّاريةِ، يرتدي عباءَتَه التي تُخفِي جسدًا لطالما سمِعْنا عن قُوَّتِهِ الخارقةِ التي تبثُّ الطُّمأنِينةَ، لقد كانَ "أبو أحمد" الأخُ والسَّنَدُ وخالُ المخيَّمِ، الذي اندفعَ كالذِّئبِ لنجدةِ إخوانهِ وأهلهِ في "درعا البلَدِ" عندما دخلهَا جيشُ النِّظامِ في ٢٥ نيسانَ/أبريل ٢٠١١.

وفي ٣٠ من الشهر ذاته عامَ ٢٠١١م، استُشهِدَ "الطّفوري" في محاولةٍ بطوليَّةٍ لإيصالِ المساعداتِ لحيّ "درعا البلَدِ" المحاصَرِ حينَها من قوَّاتِ النِّظامِ، وكانتْ لحظةُ استشهادِه أسطوريَّةً بحقٍّ؛ فبينما كانَ يقودُ درَّاجتَهُ الناريَّةَ وخلفَهُ صديقُه، تعرَّضا لإطلاقِ نارٍ من قنَّاصٍ، لكنَّ "موسى" واصلَ قيادتَهُ للدَّراجةِ حتَّى وصلا إلى "حيّ البلَدِ"، وهناكَ لفظَ أنفاسَهُ الأخيرةَ، اكتشفَ صديقَه المفاجأةَ الصَّادمةَ: لقدِ استمرَّ "أبو أحمد" في قيادةِ الدرَّاجةِ رغمَ تلقّيهِ ثلاثَ رصاصاتٍ في صدرِه! لقد كان "موسى الطّفوري" ساقِيَ الماءِ وحاملَ الخبزِ، وشهيدَ الفجرِ في رمضانَ.

قائدُ عمليّاتِ الجنوبِ.. عمّار أبو سرّية (أبو قُصيّ)

من أصولٍ فلسطينيَّةٍ يحملُ الجنسيةَ الأردنيَّةَ من أبناءِ مخيَّمِ درعا للّاجئينَ الفلسطينيينَ جنوبَ سوريةَ، ترعرعَ في مدينة درعا منذُ صِغَرِهِ، وتزوَّج وعاشَ فيها هو وعائلتَه، لم يخرُجوا من أرض حورانَ ولم يَعودوا الى بلدهمِ الأردنَّ كما فعلَ بعضُ أبنائِها، فقاتلَ هوَ وأبناؤُه النِّظامَ السُّوريَّ إلى أنْ قضَى في مدينةِ "الشّيخ مِسكين".

كان "أبو سرّية" منَ الأوائلِ الّذينَ حمَلوا السِّلاحَ للدِّفاعِ عن أرضِ حورانَ جنوبَ سوريةَ كباقي الثُّوَّارِ ممَّنْ راعَهُ فعلُ النِّظامِ، وكان قائدَ كتيبةِ أبناءِ الأقصى التَّابعةِ لِـ"لواءِ توحيدِ الجنوبِ" المُنضَوِيَةِ تحتَ مُسمَّى "الجيشِ الحُرِّ"، وتولَّى قيادةَ عمليَّاتِ "لواءِ توحيدِ الجنوبِ"، واستشهِدَ في كانونَ الأوَّلِ/ديسمبر عامَ ٢٠١٤م، في معاركِ التَّحريرِ في مدينةِ "الشّيخ مِسكين" جنوبَ سوريةَ.

"عرَفات عوَض".. قائدُ "شهداء الأقصى" في درعا

وُلد "عرفات خالِد عوض" في مخيَّم درعا عام ١٩٨٦، ومع اندلاع الحِراك الثَّوريّ في درعا عام ٢٠١١، لم يتردَّدْ "عرفات" لحظةً في الالتحاق بصفوف الثَّورة السُّوريّة المبارَكة.

بذل "عرفات" جهده في نصرة أهالي حوران جنوب سورية من خلال الحراك السِّلمي والمطالبة بالعدالة، لكنَّه سرعان ما انتقل إلى حمل السلاح لردِّ الظَّالمين والذود عن أعراض وأموال السُّوريّين والفلسطينيّينَ، مُستَمرًّا على هذا النَّهج القتاليّ.

أسَّس "عرفات" "كتائب شهداء الأقصى" بتاريخ ١٥ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢م، في محافظة درعا وقادها بنفسه، نشطَت الكتيبة بشكل خاص في "درعا البلَد"، و"مخيَّم درعا للَّاجئين"، و"طريق السَّدِّ"، وشاركَ في معارك عسكريَّةٍ بارِزة، أبرزها: "معركة يرموك الكرامة"، وفي إطار التَّوحيد الميداني، انضمَّتِ الكتيبةُ لاحقًا إلى فصائلَ أخرى، فانضمَّت في كانون الثاني/يناير ٢٠١٣ إلى "لواء شهيد حوران"، ثم إلى "لواء مُحمَّد بن عبد الله".

وبينما كان "عرفات" يقاتِل بكلِّ قوَّة وخبرة لإعلاء كلمة الحقِّ، طالَتْه يدُ الغدْرِ في كمين نُصب خصيصًا له ولمجموعته المُقاتِلة، فارتقى "عرفات" شهيدًا على ثرى درعا في شهر كانون الأول/ديسمبر من عام ٢٠١٢، بعدها تابَع رفاقُ دربه القتالَ تحت اسم "جماعةِ عرَفات" حتَّى نهايةِ عام ٢٠٢٤، ليبقى "عرفات عوَض" رمزًا للارتقاء والتضحية في سبيل العدالة.

قَحطانْ طَبَاشَة.. عقيدُ أركانٍ من أحرارِ جيشِ التَّحريرِ الفلسطينيّ

أعلنَ العقيدُ "قحطان طبَاشَة" انشقاقَهُ في ٢٣ تموز/يوليو ٢٠١٢م، عن مرتباتِ الكتيبةِ ٤٢١ صاعقة، العاملةِ ضمنَ لواءِ القادسيَّةِ في جيشِ التَّحريرِ الفلسطينيّ في السُّويداءِ، ورفضَ الخروجَ من أرضِ سوريا و قرَّرَ الانضمامَ للثَّورةِ، فقامَ بتشكيلِ كتائبِ "الجيشِ الفلسطينيّ الحُرّ" العاملةِ في جنوبِ سوريا.

عملَ بكُلِّ جهدٍ لتوحيدِ كتائبِ الثُّوارِ وتطويرِها، وأثمَرَتْ جهودُهُ مع عددٍ من الضُّبَّاطِ والمقاتِلينَ، خاضَ "العقيدُ" عدَّةَ معاركَ عسكريَّةً ضدَّ قُوَّاتِ النّظامِ في مدينةِ درعا وريفِها، من أهمِّها: في مخفرِ مُخيَّمِ درعا، و شارَكَ بالتَّصدّي لمحاولاتِ اقتحامِ المخيَّمِ وطريقِ السدِّ وعدّةِ عمليَّاتٍ في قُرى "المزيريْب" و "تلِّ شهاب" و"زَيزُون" و"طفَس"، وكانت آخرَها بتاريخ ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢م، في قريةِ "زيزون".

في ١ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢، حاصرَتِ "سريَّةُ الهجَّانةِ" التَّابعةِ للنِّظامِ في منطقة "زيزون" الحدوديَّةِ مجموعةً من السُّوريّينَ الذينَ يُحاولونَ العبورَ نحوَ الأردنِّ، فتَوجَّهتْ مجموعاتُ "الجيشِ الحرّ" لفكِّ الحصارِ عنهُم، ووقعتْ اشتباكاتٌ قضى فيها ٥ مقاتلينَ بينهُم قائدُ "لواء توحيد الجنوبِ": "محمود غزلان"، والعقيد "قحطان طباشة". وتدورُ شكوكٌ حولَ اغتيالِ "طباشة" وباقي المجموعةِ - وليسَ مقتَلَهُم في الاشتباكات - وبحسبِ شهاداتٍ لمنصَّةِ "الذَّاكِرةِ السُّوريّةِ" أكّدَتْ عثورَ الفريقِ الطِّبّي على رصاصاتٍ من الخلفِ من بنادقَ M-16 غيرِ الموجودةِ لدى قُوَّاتِ النِّظام.[١]

[١] موقع الذاكرة السورية، **قحطان طباشة**، (تاريخ الدخول: ١٥تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٢٥): https://url-shortener.me/15LI

خالد حسَن.. عقيدٌ من أحرارِ جيشِ التَّحريرِ الفِلسطينيّ

في الثالثِ من نَيسان/أبريل عامَ ٢٠١٣م، أعلنَ العقيدُ "خالد إسماعيل حسن"، المعروفِ بـ"أبي عُدَي"، انشقاقَه عن جيشِ التَّحريرِ الفلسطينيّ، حيثُ كان ينتمي إلى مرتباتِ قوَّاتِ القادسيةِ – الكتيبةِ ٤٢١، وانضمَّ إليه في هذا الانشقاقِ عددٌ من الضُّبَّاطِ، في خطوةٍ تحدَّتِ الأوامرَ بالمشاركةِ في قمعِ الشَّعبِ السُّوريّ.

بعد فترةٍ وجيزةٍ من انشقاقِهِ، سارعَ إلى تشكيلِ "لواءِ أحرارِ جيشِ التَّحريرِ"، وبحلولِ الأوَّلِ من أيلولَ/سبتمبر ٢٠١٣م، ساهمَ في تأسيسِ "جيشِ التَّحريرِ الفلسطينيّ الحُرّ"، الذي نشطَ بشكلٍ رئيسٍ في منطقةِ جنوبِ دمشقَ ومُخيَّمِ اليرموكِ .

خاضَ العقيدُ "أبو عُدي" معاركَ ضاريةً على جبهاتِ عدّةٍ، أبرزُها في الدِّفاعِ عنِ "سّبينَةِ" و"الحسينيّةِ" و"مخيَّمِ اليرموكِ"، عُرِفَ عنُه رفضُهُ الصَّريحُ لِتنظِيمِ داعشَ في المِنطقةِ، وهو ما أدَّى إلى صِدامٍ مباشَرٍ بينهُ وبينَ التَّنظيمِ خلالَ معركةِ "مخيَّمِ اليرموكِ"، عندما اقتحمَ التَّنظيمُ المُخيَّمَ.

ظلَّ "أبو عدي" صامِدًا ومقاتِلًا في مخيَّمِ اليرموكِ، يعملُ على حمايةِ أهلِه ومنازلِهم - رغمَ الحصارِ الخانقِ والمجاعةِ الّتي فرضَتْها القوَّاتُ المُتحارِبةُ في المنطقةِ.

في السابعِ من نيسانَ/أبريل ٢٠١٥م، ارتقى العقيدُ "أبو عُدي" شهيدًا على ترابِ مخيَّمِ اليرموكِ، إثرَ المعاركِ الدَّائرةِ آنذاكَ، ليبرُزَ اسمَ "خالد الحسن" كرمزٍ للشَّجاعةِ والتَّضحيةِ، وكرجلٍ رفضَ الظُّلمَ وقاومَ من أجلِهِ حتّى الشَّهادةِ.

المُلازم "إياس النّعيمي".. من أحرارِ "جيش التَّحرير الفلسطينيّ":

في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر من عامِ ١٩٨٧م، وُلدَ "إياس مروان النّعيمي"، المعروفِ بـ"أبي جهاد"، في مخيَّم اليرموك بدمشقَ، كان برتبةِ "مُلازِم أوَّل" في قوّات القادسيّة - الكتيبة ٤٢١ صاعِقة التَّابعةِ لـ "جيش التَّحرير الفلسطينيّ".

في الأشهر الأولى من عام ٢٠١٣، أعلن "إياس" إلى جانب عدد منَ الضُّبَّاط والمُجنَّدين الشُّرفاء انشقاقَه عن "جيش التَّحرير الفلسطينيّ"، جاء هذا القرارُ بعد أن شهِد المجازر الوحشيَّة التي يرتكِبُها "النِّظامُ السُّوريّ" بحقِّ المُدن السُّوريّةِ والمخيَّمات الفلسطينيَّةِ.

ظهر "إياس" ورفاقُه في مقطع مرئيٍّ مُصوَّرٍ بتاريخ ٢ نيسان/ابريل ٢٠١٣، معلنينَ انشقاقَهُم. بعدَها، عمِلوا على تشكيل "لواء أحرار جيش التَّحرير الفلسطينيّ"، الذي نشط في دمشقَ ودرعا ومناطق أخرى، وأصبح "إياس" قائدًا للكتيبة.

كان لـ"أبي جهاد" وكتيبتِه نقاط رباط عديدة في جنوب دمشق، خاصَّة في "شارع فلسطين" على جبهَتي "البلديَّة" و"ثانويَّة اليرموك"، وعلى جبْهَتي "ساحة الرِّيجة" و"شارع الثَّلاثين"، كما شارك في معارك بلدة "سبينة" و"منطقة الجمعيَّات"، وخاض عشرات المواجهات ضدَّ "قوَّات النِّظام" وميليشياتِه.

في ٣٠ تموز/يوليو ٢٠١٣، ارتقى إياس النّعيمي شهيدًا، إثر قصف "النِّظام السُّوريّ" الهمجي بصواريخ أرض-أرض الثقيلة على شارع اليرموك، قُربَ "فرن حمدان وملحمة المليون".

بعد استشهاده، قامَ رفاقُ دربِه بترقيتِه من رتبة "ملازم أول" إلى "نقيب"، تكريمًا لمسيرته العظيمة وشجاعته.

كان "إياس" شخصيَّةً محبوبةً، ويصفُه أحدُ أصدقائه بأنَّه قضى معه أجملَ أيَّام الشَّباب في "ثانويَّة اليرموك"، قبل أن يلتقيا مُجدَّدًا في حصار المخيَّم .

يبقى "إياس النّعيمي" رمزًا للقائد الذي حمَل همَّ وَطنِه الأصليّ ووطن لجوئِه، وقدَّم روحَه فداءً للحُرّيةِ.

شادي السّعد.. أبو جندَلِ اليرموك

من مواليدِ مخيَّمِ اليرموكِ عامَ ١٩٨٦م ، كان طالبًا جامعيًّا في السنَّةِ الثَّانيةِ بِكُلّيَّةِ الحقوقِ، وعندَ قيامِ الثَّورةِ انضمَّ إلى صفوفِ المُتظاهرينَ، ثمَّ تركَ تعليمَهَ الجامعيَّ وانخرطَ في العملِ العسكريّ ضدَّ النظامِ السُّوريّ عندَ عسكرةِ الثَّورةِ.

انضمَّ إلى مجموعةِ "أسودِ التَّوحيدِ" بريفِ دمشقَ التّابعةِ للجيشِ الحرّ عامَ ٢٠١٢م، شاركَ في معركةِ تحريرِ بلديَّةِ "الحجَرِ الأسوَدِ"، وخاضَ الكثيرَ من المعاركِ ضدَّ النّظامِ على عددٍ من جبهاتِ جنوبِ دمشقَ منها: جبهةِ "سبينة" و"سيدي مقداد" و"مخيَّم اليرموك".

ثمَّ شكَّلَ مع رفاقِ دربِهِ "سرايا اليرموك" العامِلةِ على جبهاتِ المخيَّمِ وكان لها العديدُ من نقاطِ الرّباطِ مع النّظامِ لا سيَّما على جبهةِ "ثانويةِ اليرموكِ" وجبهة "البلديَّةِ"، ثم انضمَّ لـ"جبهةِ النُّصرةِ" والتي أصبحت لاحقًا "هيئةِ تحريرِ الشَّامِ" في مخيَّمِ اليرموكِ، وحوصِرَ في المخيَّمِ.

واجهَ مع المقاتلينَ تنظيمَ "داعش" عندَ اقتحامِه لمخيَّمِ اليرموكِ، وحوصِرَ في "ساحةِ الرِّيجةِ"، فكان بين فكّي كمّاشةٍ، محاصرينَ شِمالًا من قوّاتِ النِّظامِ السُّوريّ ومجموعاتِهِ المُواليَةِ، وجنوبًا من تنظيمِ "داعش"، وبقيَ صامدًا في مواجهةِ الحصارِ والقصفِ، وكان مثالًا للشَّجاعةِ والصُّمودِ بينَ شبابِ المخيَّمِ.

خاضَ عشراتِ المعاركَ ضدَّ "النِّظامِ" و"داعش"، وأصيبَ أكثرَ من ٢٠ إصابةً في جسدِه، حتَّى أصيبَتْ يدُهُ بالشَّللِ نتيجةَ أحدِ الإصاباتِ، وكان يُقاتلُ بيدٍ واحدةٍ، استُشهِدَ أخوهُ ووالدُه، وواصلَ طريقَه حتَّى استشهدَ في "ساحةِ الرِّيجةِ" باشتباكٍ مع قوَّاتِ النِّظامِ السُّوريّ بمخيَّمِ اليرموكِ يوم ٢٢ نيسان/ابريل ٢٠١٨م.

يقولُ أخوهُ "أبوجهاد خطّاب" عامَ ٢٠٢٤م : "رُحتُ اليومَ أزورُ قبورَ إخوتي "شادي" وأحمَد" وكلّ الإخوة يلي قتلوا بساحةِ الريجة بمخيَّم اليرموك فلقيت النّظام النصيري نابِش القبور وماخِد جميع جثامين إخواننا".

يتحدَّثُ أصدقاؤُه عنه: "كان أحدَ الأبطالِ الفلسطينيّينَ في مخيَّمِ اليرموكِ ، ومنَ الذينَ روَّوا ترابَ المخيَّمِ بدمائِهم الطَّاهرةِ، وضحُّوا بأنفسهِم كي نَحيا نحنُ وأبناؤُنا بكرامةٍ وحرّيةٍ، رحمَ اللهُ الشَّهيدَ الذي لم يتردَّد لحظةً في سبيلِ الحقّ، فاختارَ طريقَ العِزَّةِ والفداءِ، وترَك لنا وصيَّةً من نارٍ ونور مفادها: "أن نُحافِظَ على ما استُشهِدَ من أجلِه، وأن نصونَ الأمانةَ التي دافعَ عنها بدمهِ".

"٢٢ نيسان ٢٠١٨ روَتْ دماؤُه ثرى المخيَّمِ .. رفضَ الخروجَ من المخيَّمِ رغمَ الحصارِ من "الدَّواعشِ و"النِّظامِ"، عاشَ مراحلَ الثَّورةِ السُّوريّةِ في المخيَّمِ كاملةً - تظاهرًا وعونًا وحصارًا وجوعًا وقتالَ الرِّجالِ - واستشهدَ واقفًا يدُهُ على الزِّنادِ ".

بهاء صقْر.. صقرُ مخيَّمِ اليرموكِ

"بهاء وليد صقر" (أبو حمزة)، من مواليدِ مخيَّمِ اليرموكِ، عامَ ١٩٨٣م، أبٌ لأربعةِ أطفالٍ، درَس المرحلةَ الثَّانوية في "ثانويةِ اليرموكِ في المخيَّم، ثم تخرَّجَ من المعهدِ الفُندقيِّ بدمشقَ، كان "أبو حمزة" عضوًا في حركة "حماس" وعمِلَ قبيلَ الثَّورةِ السُّوريّةِ مرافقًا لـ"خالد مشعل" رئيسِ المكتبِ السياسيِّ للحركة حينها.

قبلَ التَّعريجِ على سيرةِ "بهاءِ" العطِرةِ في الثَّورةِ السُّوريّةِ لا بد لي من ذكرِ مشاركتِهِ في "مسيرَتَي العودةِ لِفلسطينَ" الأولى والثانية عام ٢٠١١م، واللّتينِ كانتا في ذكرى "نكبةِ فلسطينَ" وفي ذكرى "نكسةِ حزيرانَ"، والَّتي تعرَّضَ فيها لإصابةٍ برصاصِ جنودِ الاحتلالِ الإسرائيليِّ في الجولانَ السُّوريِّ المحتَلِّ - وكانتْ إصابتُه بكِلتا فخِذَيهِ - فكانتْ أُولى الجراحِ في جسدِهِ الطَّاهرِ في سبيلِ اللهِ وتحريرِ فلسطينَ.

أما عن دورِ صقرِ المخيَّمِ في الثَّورةِ السُّوريّةِ، فقدِ انحازَ لها "أبو حمزةَ" منذُ بدايتِها، فحمَلَ السِّلاحَ مُبكِّرًا دفاعًا عن السُّوريّينَ والفِلسطينيّينَ جنوبَ دمشقَ لمواجهةِ جبروتِ الأسَدِ وزبانيَّتِهِ وآلتِهِم العسكريَّةِ، فأسَّسَ مع عددٍ من إخوانِه كتيبةَ الشَّهيدِ "عبد الله عزَّام" التي عمِلَتْ مع "كتائبِ أكنافِ بيتِ المقدسِ" و"لواءِ أسودِ التَّوحيدِ" العاملينَ في جنوبِ دمشقَ.

خاضَ "بهاءُ" وإخوانُهُ عشَراتِ المعاركَ والاشتباكاتِ ضدَّ النِّظامِ المُجرِمِ في مُخيَّمِ اليرموكِ وبلدةِ سبينة، وكان لهم العديدُ من نقاطِ الرِّباطِ فيهما، وأصيبَ في يدهِ في إحدى المعاركِ عامَ ٢٠١٢م، في "شارعِ راما" خلفَ "مخفرِ اليرموكِ"، لِتكونَ إصابتَهُ الثَّانيةَ في سبيلِ اللهِ وتحريرِ سوريا بعد أن كانتِ الأولى برصاصٍ إسرائيليٍّ.

أثناءَ فترةِ الحصارِ الجائرِ على مخيَّمِ اليرموكِ، أسَّسَ "بهاءُ" مع عددٍ من ناشطِي وعسكريِّي المخيَّمِ "تجمُّعَ أبناءِ اليرموكِ"، الذي هدِفَ لتوحيدِ الكلمةِ والسلاحِ الفلسطينيِّ أمامَ التَّحدِّياتِ والتَّهديداتِ التي تواجِهُ أهالي المخيَّمِ حينَها.

ومع اشتدادِ الحصارِ على مخيَّمِ اليرموكِ، عملَ "أبو حمزة" جاهدًا على إنجاحِ الهُدَنِ التي كانت مطروحةً حينها مع "النِّظامِ المجرِمِ" - ليس خوَرًا منه أو ضعفًا - بل إشفاقًا على أهالي المخيَّمِ الذين كانوا يموتونَ جوعًا يوميًّا، كما أنَّه كان حريصًا على الوجودِ في أماكنِ توزيعِ المساعداتِ لضبطِ الأمورِ وضمانِ عدمِ عرقلةِ التَّوزيعِ وإدخالِ أكبرِ قدرٍ منها إلى المخيَّمِ، ولو كان ثمنُ ذلكَ موتُه فلمْ يكُنْ يُبالي، ولا ينسى أهلُ المخيَّمِ المحاصَرينَ مقولتَه الشَّهيرةَ: "لو بدِّي أموت.. بدِّي أجِيب المساعدات"، وذلكَ بعدَ عرقلةِ "النِّظامِ المجرِمِ" لإدخالِ إحدى قوافلِ المساعداتِ إلى المخيَّمِ، فجزاهُ اللهُ عنَّا وعن أهلِ الحصارِ كلَّ خيرٍ.

ارتقى "صقرُ المخيَّمِ" شهيدًا جميلًا في ٢ آب/أغسطس من ٢٠١٤م، على شارعِ اليرموكِ بجانبِ جامعِ الوسيمِ على يدِ "مجهولينَ"، وتمَّ إسعافُه إلى مشفى فلسطين، إلَّا أنَّ روحَهُ الطاهرةَ فاضَتْ إلى بارئِها، وارتسمَتْ على وجهِه بعد استشهادِه علاماتُ الرِّضا، فإلى رَوحٍ وريحانٍ وربٍّ راضٍ غيرِ غضبانَ -بإذنِ اللهِ- يا "بهاءُ".

بعدَ استشهادِه - رحمهُ اللهُ - شيَّعهُ أهالي مخيَّمِ اليرموكِ بقلوبٍ منكسرةٍ وحزينةٍ على فَقدِ "بهاءِ الجبلِ الأشمِّ والطَّودِ الرَّاسخِ"، ثمَّ صلُّوا عليهِ ودفنُوه في مقبرةِ الشُّهداءِ القديمةِ في "حيِّ المغاربة".

أبو هاشم زغموت.. الشَّجاعةُ والإقدامُ

ينحدرُ "خليل زغموت أبو هاشم" من قرية الصّفصاف في قضاء صفد بفلسطين المحتلة، وكان تاجرَ عقارات في الخمسينيّات من عمره، ويُشار إليه بـ "ابن مخيَّم بكلِّ معنى الكلمة".

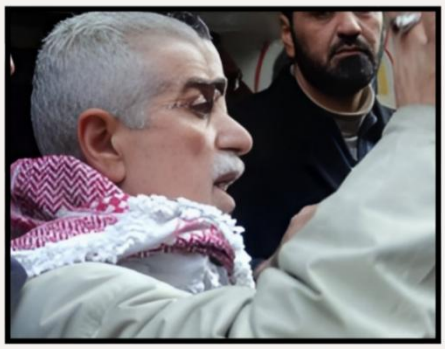

شكَّل خلال الثَّورة السُّوريّة "لواءَ زهرةِ المدائنِ" في مخيَّم اليرموك، وضمّ زهاءَ ٣٠٠ مقاتل، وهو من أول الفصائل العسكريّة المعارِضة التي تشكَّلت على أرض مخيَّم اليرموك، ونفَّذتِ العديد من المعارك والاشتباكات مع قوات النِّظام السُّوريّ.

تميَّز "أبو هاشم" بشجاعة وإقدام كبيرَيْن، رغم أنه كان يشكو "نقصًا كبيرًا في البنية النّظرية والفهم السياسيّ"، وكانت مؤهِّلاتُه القيادية لا تتعدى إعطاء الأوامر المباشرة لمجموعته - ولكنه رغم ذلك - شكَّلت شخصيَّتُه مزيجًا من الكرَم والمقاطَعة والاندفاع، حيث كان تحت إمرته مجموعة من الشباب من أقربائه وأبناء أصدقائه، الذين اكتسبوا خبرتهم العسكريَّة من خدمتهم السَّابقة في الفصائل الفلسطينيَّة.

فيما بعد؛ انضمَّ معظمُ مقاتلي "لواء زهرة المدائن" إلى تشكيلٍ عسكريٍّ آخر، وشكَّلوا مع كتيبة الشهيد "يوسف شموط"، ومجموعات صغيرة يغلب عليها الطابع الفلسطيني: "ألوية العُهدة العُمَريّة".

كان "أبو هاشم" من أوائل الفعاليات العسكرية التي انخرَطَت في "مشاريع المصالحة المتعدِّدة" التي طُرحت من الجانب الفلسطينيّ أو النظام السُّوريّ، لكنها كانت تنتهي بالفشل بسبب التَّصعيد العسكريّ، وكان هذا التَّوجُّه للمصالحة هو السبب - على الأرجح - وراء اعتقاله من قبلِ "جبهة النُّصرة"، ولم يُعرَف مصيرُه حتَّى تاريخ كتابة هذه السُّطور.

محمود أبو ربيع.. فارسٌ ترجَّلَ في "معركةِ مطار مِنّغ"

من أبناء مخيَّم اليرموك بدمشق، التَحق بصفوف الثُّوَّار مع بواكير العمل العسكري ضدَّ النِّظام السُّوريّ البائد، وغدا فيها قائدًا ومقاتلًا شرسًا يرمي بسلاحه من جولة إلى أخرى.

ترجّل "محمود طه أبو ربيع"، قائدًا وبطلًا من أبطال معركة "مطار منّغ العسكريّ" في ريف حلب، حيث سقط عام ٢٠١٣م، كما تمنَّى :مقبلًا غيرَ مُدبِر، وبقذيفة دبَّابة، لم تكن معركة "مطار منّغ" كبقيَّة معارك حلب وريفها، نظرًا لأهميَّتها الاستراتيجيَّة وعدد القوَّات المدافِعة عنها، حيث شارك في حصارها واقتحامها قرابة خمسةِ آلافِ مقاتل من مختلف المدن والمحافظات السُّوريّة.

كان "أبو ربيع" على رأس المقتَحِمينَ، مشهودًا له بالجُرأةِ والإقدام والشَّجاعة، يروي أحدُ رفاقه أنَّ "أبا ربيع" كان على يقين بقرب رحيله، وقال لهم قبل يوم واحد من استشهاده:"أتمنَّى من الله تعالى أن يرزُقَني الشَّهادة بقذيفةٍ تفتِّت جسدي لعلَّ لحمي ودمي يُنقِّي أعمالي في الدنيا... أعتقِد أنَّ نصيبي في الدُّنيا قدِ انتهى، وأتمنَّى من الله عزَّ وجلَّ أن يُعوِّضني بنعيم الجنَّة".في اليوم التَّالي، رحَل "أبو ربيع" كما تمنَّى تمامًا، استُشهِد مساء يوم ٥ آب/أغسطس عامَ ٢٠١٣، الّذي وافَق ليلةَ القدْر، في تمام السَّاعةِ العاشرة مساءً، وعلَتْ قبضاتُ "اللّاسلكي" أصواتًا ممزوجة بالبكاء والفرح، معلنةً النهاية المُظفَّرة للمعركة: "مطار منّغ صديق بالكامل.. الله أكبر.. المطار تحرَّر يا شباب".

بذلك، بذَل "محمود أبو ربيع" نفسه وماله في سبيل القضيَّة، وترَك بصمة خالدة لقائد فلسطينيٍّ من اليرموك كان له دورٌ بارز في تحرير واحد من أهمِّ المعاقل العسكريَّة للنِّظام البائدِ في الشِّمال السُّوريّ.

"أبو العبد" عصام البيطاري.. حارسُ اليرموكِ والضَّميرُ الثَّائرُ

يُمثِّلُ "عصام البيطاري" (أبو العبد) أيقونةً فلسطينية من مخيَّم اليرموك، وهو نموذج للنَّاشط والفدائيّ الذي رفَض الانكسار أمام الحصار والتَّشرذِم، وعاش مناضلًا حتَّى آخرِ أيَّامه.

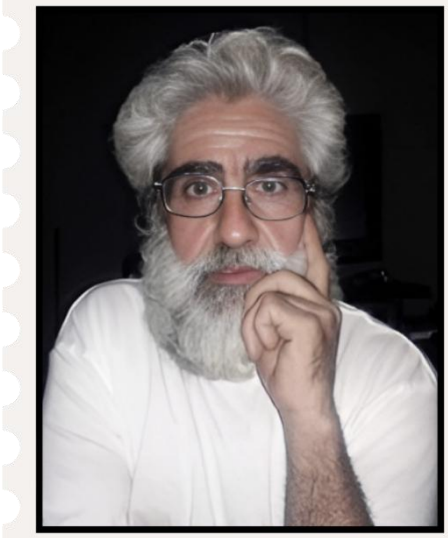

ينحدر "أبو العبد عصام" من مدينة النَّاصرة (عاصمة الجليل في فلسطين)، ويُعرَفُ على نطاق واسع في اليرموك والمخيَّمات بـ"أبو العبد عصام".

وُصِفَ بأنَّه: "جميلٌ، صلبٌ، حنونٌ، ووَطنيٌّ حتَّى النُّخاع"، وله "سُحنةٌ جليليّةٌ فلسطينيّةٌ" تميِّزُه، كان فدائيًّا من الطِّراز الرَّفيع، و"جامعَ الأشياءِ"؛ فهو ضليعُ التَّمرُّد، سريعُ الانفعال، لكنَّه وطنيٌّ خالصٌ ونصيرٌ للمظلوم.

تعرَّض لإصابة صعبة في يده اليمنى (التي أصبحَت مشلولةً) إبان معارك "مغدوشة" عامَ ١٩٨٦، خلال حرب "حركة أمل اللبنانيّة" على المخيَّمات الفلسطينيّة في لبنان، عندما كان عضوًا في الجبهة الشَّعبيَّة لتحرير فلسطين - ولكنَّه رغم إصابته - كان يُقال عنه :أنَّ "يده اليمنى المشلولة قادرة أن تعمل تغييرًا أكثر من عشْرةِ أيدٍ سليمة".

عاش "أبو العبد" حصار اليرموك كاملًا وبملء إرادته، ولم يغادرِ المخيَّم رغم كلِّ المخاطر، مفضِّلًا البقاء للدِّفاع عن المدنيّين، وأسَّس وقاد مجموعة "حركة أبناء مخيَّم اليرموك - كتائب البُراق"، وعمِل على إنشاء تسويات واتِّفاقيَّات مُتعدِّدة، وفاوض القوى المتصارعة (بما في ذلك داعش وجبهة النُّصرة والنِّظام السُّوريّ)، وكأنَّه "دولةٌ مستقِلَّة" لحماية المخيَّم، وكان حريصًا على سلامة المدنيّين.

في ذروة الصِّراع بين الفصائل، اتَّخذ "أبو العبد" قرارات جريئةً ومصيريَّة، فعَارض الاتِّفاق الذي أبرمتْهُ "جبهة النُّصرة" مع النظام السُّوريّ للانسحاب نحو إدلب، ورفَض تسليمَ نقاط الرِّباط، وأعلن في آب/أغسطس ٢٠١٦م، تخلِّي حركته عن "جبهة النُّصرة" وانسحاب عناصره إلى المناطق التي يسيطر عليها تنظيم "داعش "داخل المخيَّم، رغبةً منه في "البقاء داخل مخيَّم اليرموك والدِّفاع عنه".

لم يخفِ "أبو العبد" صدمتَه وغضبه من موقف "منظَّمة التَّحرير الفلسطينيّة" من مخيَّم اليرموك، واصفًا دورها بـ"المتخاذِل"، بل ذهب إلى اتِّهام "المنظَّمة" بأنَّها :هي من أدخلَت "داعش" إلى اليرموك قبل حوالي عام -آنذاك-، وتملِك علاقات مباشرة معه، منذ أن كانت أحد أطراف اتِّفاق خروجه من جنوب دمشق".

كما ردَّ بغضبٍ على تصريحات سفير "المنظَّمة" في دمشق حول "اغتصاب التَّنظيم لنساء في اليرموك"، مؤكِّدًا" :نحن باقون هنا كي لا يقع أمرٌ مماثل، لا نسمح... ولو على قطع أعناقنا".

تعرَّض "أبو العبد عصام" للاستِدراج والاعتِقال من قِبل قوَّات النِّظامِ السُّوريّ بحجّة التَّفاوُض من أجل مبادرةٍ لإنهاء أزمة اليرموك، ولم يَعُد بعدَها، ثم أُفرِج عنه في وقت لاحق، لكنَّه تُوفِّي في ولاية غازي عنتاب جنوب تركيا يوم ٢٨ كانون الأول/يناير عام ٢٠٢٠.

رحلَ "أبو العبد" كما يرحل اللَّاجئون، "مات غريبًا في أرضٍ غريبة"، بعد أن عاش مظلومًا يحلُم بفلسطين ومحاصرًا يحلُم بسورية مُحرَّرة"، وبعد وفاتِه وصفَه رفاقُه بأنَّه: "أكثر شخص حرٍّ قابلوه في حياتهم". "أبو العبد "الفلسطيني السُّوريّ" مثل الكثيرين الذين عاشوا على حلم انتصار الثَّورة، وماتوا وما تحقق حلمهم... رحمة الله عليك أبو العبد".

شحادة الشِّهابي.. مهندسُ الصُّمود، مناهضُ الغزوِ

زفَّ مخيَّم اليرموك يوم الأربعاء ٧ أيلول/سبتمبر ٢٠١٣، المهندس "شحادة أحمد الشهابي"، الذي ارتقى شهيدًا متأثرًا بشظايا قصف عنيف استهدف حارته بشارع فلسطين في المخيَّم، كانت قصة "شحادة الشهابي"، المعروف بمواقفه الوطنية وتاريخه النضالي، مفارقة مؤلمة؛ فقد حارب الأمريكيين في العراق، وواجه قوات الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ولبنان، وأخيرًا مقاتلًا ضد قوات النظام السُّوريّ، ليُقتَل على يد نظامِ "الممانعة والمقاومة" في دمشق.

مسيرةٌ نضاليّةٌ عابرةٌ للحدود:

وُلد "شحادة الشهابيّ" عام ١٩٧٧ في مخيَّم اليرموك، درَس الهندسة الكهربائيَّة بجامعة دمشق وتخرَّج منها، عمِل أمينًا لسر الاتِّحاد العامّ لطلبة فلسطين أثناء دراسته الجامعيَّة، تميَّز بحبِّه للوطن وحمّيتِه النِّضالية منذ شبابه، حيث كان له دور بارز في حراك مخيَّم اليرموك مع انطلاقة انتفاضة الأقصى.

كانت بصماتُه واضحةً في ميادينَ مختلفة:

- العراق ٢٠٠٣ :مع بداية الغزو الأمريكي للعراق، توجّه "شحادة" مع مجموعة من شباب مخيَّم اليرموك للدفاع عن أرض عربية، وشهد هناك استشهاد صديقه "ساري شحادة" وغيره من شباب المخيَّم.

- لبنان ٢٠٠٦: في تموز ٢٠٠٦، توجَّه إلى لبنان للمساهمة في مقاومة الاعتداءات الإسرائيلية، وشارك في الجهود الإغاثيّة.
- الجولان ٢٠١١ :في أيار ٢٠١١، التقى به صديقه "رشاد الهندي" صدفةً في الجولان المحتل أثناء "مسيرة العودة الأولى"، وكان يحلُم بالصلاة في المسجد الأقصى، وعندما حوصروا من جيش الاحتلال الإسرائيلي، صلَّى مع رفاقه عند الحاجز قائلًا: "هذا أقرب مكان للأقصى".
- ويذكُر "الهندي" أن جدَّ شحادة (شحادة الشهابي) استُشهِد عام ١٩٤٨ على يد الاحتلال الإسرائيلي، ما يجعل وفاته على يد النظام السُّوريّ مفارقة غريبة.
- مع بدء الثَّورة السُّوريّة بدأ بدعمه اللوجستيّ للثُّوار في حيّ التَّضامن الدِّمشقي، وبعد "ضربة الميغ" في مخيَّم اليرموك، انخرَط مع مجموعات مسلَّحة قاتَلت قوّات النِّظام السُّوريّ في عدَّة محاورَ بمخيَّم اليرموك.

شحادة الشهابي: " المخيَّم خيمتُنا الأخيرة "

يصفُ "رشاد الهندي" شحادة الشهابي بأنّه: "نِعمَ الأخُ والصَّديقُ"، معتَبِرًا أنَّ "تاريخَه النِّضاليَّ يكفي فلسطين والأمة بأسرها"، كما يروي صديقه "علاء عبود" حادثة بارزة عام ١٩٩٨؛ أثناء مظاهرة أمام السفارة الأمريكية بدمشق احتجاجًا على الضربة الأمريكية للعراق، تسلَّق "شحادة" مبنى السَّفارة بنفسه وأنزَل العلم الأمريكي وأحرقَه، ليتمَّ استدعاؤُه لاحقًا للتَّحقيق معه.

في الأحداث الأخيرة بسوريا، وتحديدًا في مخيَّم اليرموك المحاصَر، رفضَ "شحادة" الخروجَ منه رغم القصف والاشتباكات اليوميَّة، وفي آخر محادَثة له قبلَ أسبوعين من إصابته، قال لصديقه: "المخيَّمُ خيمتُنا الأخيرة على فلسطين، إذا تركناها، سوف نبتعد كثيرًا عن العودة"، مختارًا البقاء صامدًا في خيمته الأخيرة.

لحظةُ الاستشهاد:

"كان ذلك عصرَ يوم ٩ تموز/يوليو عامَ ٢٠١٣، حيث كانوا يجلسون بهدوء على عتبة محل السجاد مقابل معمل البسكويت في شارع فلسطين، وفجأةً قصفَ النِّظامُ السُّوريُّ المنطقةَ بقذائف هاون، لكنَّ بعضها لم ينفجر ما جعل "شحادة الشهابي" يسارع بحملِها ورميِها بعيدًا داخل معمل البسكويت لتسقطَ بعدها القذيفة الثَّانية، فتودي بحياة ابن عمه "محمود محمد شهابي" ويصاب "شحادة شهابي" بجروح خطيرة لم تتمكن كل الفرق الإسعافية في مخيَّم اليرموك من عمل شيء له بسبب النقص الشديد في كل أدوات الإسعاف والأدوية ليلتحق بابن عمه بعد شهرين في ٧ أيلول/سبتمبر، ليترُك وراءَه زوجةً وطفلان.

نجوى.. بطلةٌ وخنساءُ فلسطينيّةٌ في الثَّورةِ السُّوريّةِ

تحوّلَتِ "الآنسةُ نجوى"، الفلسطينيَّةُ السُّوريّةُ ومُدرِّسةُ اللغةِ الإنجليزيَّةِ، إلى مقاتِلةٍ وإعلاميَّةٍ شرسةٍ في صفوف "الجيش السُّوريِّ الحرّ" بحيّ "صلاح الدين" بحلب، أطلقَتْ على نفسها اسم "جيفارا" تيمُّنًا بالثائر الكوبيِّ، واتَّخذَتْ من المناضلة الفلسطينية "دلال المغربي" قدوةً لها.

شاركَتِ "الآنسة نجوى" في الثَّورة السُّوريّةِ منذ بدايتها، حيث عمِلت على تنظيم العديد من المظاهرات الطُّلّابيَّة السِّلمية، ولكن مع تصاعد العنف وتحوُّل الثَّورة في حلب إلى عمل مسلَّح، وبعد تزايد مجازر "النِّظام"، طالَت إحداها منزلِها عام ٢٠١٣م،

واستشهِد في تلك المجزرة طفلاها (صبيٌّ عمره ٧ سنوات وفتاةٌ عمرها ١٠ سنوات) وعدد من أقاربها، فدفعَتْها هذه المأساةُ لترك التّدريس والالتحاق بصفوف "الجيش السُّوريّ الحرّ"، انتقامًا لأطفالها ودفاعًا عن الشَّعب السُّوريّ المكلوم.

يقول النَّاشط "باتِر تميم": كانتْ "جيفارا" تتجوَّل في أحياء حلب المحرَّرة مرتديةً حجابها وبدلة "الجيش السُّوريّ الحرّ"، وتمسِك بيدِها أسلحة القنص، لقد تعلَّمَت فنون القتال والقنص من زوجها، الذي كان قياديًّا في إحدى كتائب "الجيش الحرّ".

ناضلَتْ "جيفارا" بضراوة على جبهة حي "صلاح الدّين" المحرَّر، وشاركَت في عشَرات المعارك، مُتصدِّية لمحاولات اقتحام جيش النِّظام، حتى أصبحَت شخصيّةً معروفةً لدى المقاتلين والسُّكَّان المدنيّين في حلب، وكذلك لدى النِّظام السُّوريّ، الذي عرضَتْ وسائلُ إعلامه تقاريرَ عنها وعمَّمتْ اسمها الحقيقي، وبات يعرفُها جيّدًا.

وفي حديث لوكالة "الأناضول"، عبَّرت "جيفارا" عن إصرارها قائلةً: "لا يهمُّني الأمر، خسرتُ طفليَّ وعدد كبير من أقاربي، وها أنا اليوم أحارب مع زوجي... كلما قُتِل أحد زملائي أو معارفي زِدْتُ إصرارًا على التمسُّك بالسلاح"، وأضافت: "أحرسُ شوارع حلب المحرَّرة التي أتعاملُ معها كجزء منّي، ومن واجبي حراستها برموش العين".

نجحَتْ "جيفارا" في إقناع إخوانها ورفاق سلاحها بضرورة نزول المرأة إلى الميدان، مُستَلهِمةً من التَّاريخ الإسلاميّ.

"الآنسة نجوى"، أو "جيفارا"، هي معلِّمةٌ ومقاتلة فلسطينية سورية حرَّة، انحازَتْ للحقّ وهي الأمُّ الصَّابرة التي فقدَت طفلَيْها وقاتلَت من أجل سوريا وعينِها على فلسطين، للهِ درُّها وعلى الله أجرُها .

"يونُس دُسوقي".. بين المِنبَرِ والمعركةِ صوتُ المخيَّمِ المعلَّقُ

"يونُس دُسوقي"[1] هو فلسطينيٌّ هاجَرتْ عائلته بعد مجازر اليهود في فلسطين واستوطنت مخيَّم النيرب بحلب، درسنا معًا في الخسروية في شعبة الشافعية، كان ضحوكًا مشاغبًا في دروس الأساتذة الذين في دروسهم أو شخصيتهم ثغرات، كان يجلس في المقعد الأول ويتقن الهمز واللمز الطفولي، أحبَّ لبس الجبة والعمامة في المرحلة الثانوية لحبّه الخطابة، وكان يتغنّى بالقرآن ويقدّمه الأساتذة على غيره في القراءة، وقد تسلّم الخطابة في جامع بالمخيَّم، وعمل بتدريس الأطفال فترة، كان يحكي لي عن معاناة فلسطيني المخيَّم وفقرهم وما حصل لهم من شتات وبُعد عن دينهم، ولقد كان يونس من أوائل الذين بدأوا بإحياء التديّن بين فلسطيني مخيَّم النيرب، وكان يخبرني بأنشطته ومعاناته في تقريب الناس إلى ربهم لطول بُعدهم عن ربهم وانتشار الشيوعية بينهم، ويتحمّل اعتراضات الناس وتحرّش الجواسيس.

التحق بكلية الشريعة بدمشق ثم جاء احتلال الأمريكان والبريطانيين للعراق، فدبّت في نفسه الحميّة فترك الجامعة والتحق بالعراق وقاتل الأمريكان هناك

[1] سواس، طالب، **الشهيد يونس دسوقي أبو هاشم أو أبو خديجة الجولاني**، موقع رابطة العلماء السوريين، ٠٨ كانون الثاني / يناير ٢٠١٥، تاريخ الدخول: (١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٥): https://islamsyria.com/ar

مجموعة العمل
من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

واستقر في البصرة، وسقطت بغداد ولا يزال يونس مع مجموعة مرابطة حول البصرة صامدة، لا يزيد عددهم عن ٢٠٠ كما روى لي حيث كانوا هم سر صمود البصرة!! وحدثني عن خيانات في ضباط الجيش العراقي وعن خيانات بعض العراقيين الشيعة الذين كانوا يصطادون من داخل بيوتهم كل من يقدرون عليه من المجاهدين المقاومين! وحدثني عن جواسيس جاؤوا بهيئة مجاهدين من دول بعيدة، ولكنهم اكتشفوا غدرهم بالمجاهدين في أرض المعارك، وحدثني عن شيخ عجوز مغربي قُتِل معهم ثم اكتشفوا أنه من يهود المغرب جاء بمهمة، حتى أذكر أنه قال لي: وجدنا في جسده نجمة سداسية مدقوقة وشمًا! عاد يونس إلى سورية مقطوع القلب خائب الأمل، وفي إحدى كفّية إصابة بقنبلة يدوية، حين وصل إلى سورية اعتقله الأمن السُّوريّ فترة ثم استأنف دراسته بهمّة باردة، فقلبُه لا يزال معلّقًا بالعراق.

استهوته أناشيد الجهاد، وصور عمليات المجاهدين ضد الأمريكان في العراق، وبدأ العمل الجهادي السري حتى وقع في تنظيم جهادي سرّي غير معروف الاسم ومجهول الرأس، وظل يتظاهر بالحياة المدنية وينشط سرًا، ولم يتصوّر رحمه الله أنه وقع في فخ تنظيم مخابراتي من العيار الثقيل! وأذكر أنه اتصل وودّع أحد أصدقائه المجاهدين الملتحقين بالعراق ثم جلس يبكي على أنغام أنشودة جهادية وداعية، وفي العام ٢٠٠٤ حيث كان على مقربة من الزواج اعتقلته المخابرات السُّوريّة وهو في سيارة نقل عمومية حيث همس في أذنه الراكب الذي بجانبه وأخبره أنه تحت المراقبة وطلب منه أن يرافقه إلى الفرع بدون شوشرة "أحسن"، بات الشهيد في أقبية المخابرات وتحت التعذيب قرابة سنة، وأصبح فؤاد أمه خاويًا، ورأيت والده المسكين في دمشق يبحث عنه في المخافر والمشافي قبل أن نعلم أين هو.

وأذكر من كلام والده لي: "نحن الفلسطينيين ما لنا غير الصبر والدعاء"، وأدركت بعد ما حل بنا نحن السُّوريّين ما كان يعانيه الفلسطينيون...

ثم خرج الشهيد بعفو وبعد أيام زُفَّ عريسًا إلى عروسته الصابرة، وحضرنا عرسه في المخيَّم ورقصت في عرسه. ثم قعد عاقلًا والتفت إلى نوع سلمي من الجهاد "تفريخ الأولاد المجاهدين" حسب ما أخبرني ممازحًا.

عاش ونشأ الشهيد في أسرة فقيرة متواضعة طيبة السمعة، عمل مع والده وأخيه في صناعة الآنية المعدنية "الثني والتدوير نصف الآلي"، ثم اشتغل بعد الإفراج عنه في سوق المكتبات بباب النصر، ولم يتسنّ له استكمال الدراسة، ثم فرّقتنا الأيام أنا في الخدمة الإلزامية وهو في شغله، وقامت الثَّورة وكنت أتوقع أنه سيشكل كتيبة، إلى أن اقترحه لي فيسبوك باسم أبو خديجة الجولاني، ورأيته بهيئة جديدة، وغلب على ظني حينها أنه التحق بجبهة النصرة، فلم أتحرش به لكيلا يقرأ منشوراتي اللاذعة فينزعج. واليوم بعد استشهاده تحققت أنه كان أميرًا بارزًا في جبهة النصرة واستشهد مؤخرًا بقصف، كعادة الطيران في استهداف المجاهدين الحقيقيين دون الجواسيس.

من مناقبه: شغفه بفلسطين والمسجد الأقصى ومتابعته لأخبارها، وانفعاله بما يجري لها، وحرصه على عدم نسيان الهوية الفلسطينية، ومخاطبة الحلبية بلهجتهم والفلسطينيين بلهجتهم، وزواجه من فلسطينية بعد محاولة زواج غير ميسرة بفتاة حلبية.

كان الشهيد حماسيًا جدًا، نحيف الجسد متين العصب، قلما يغلبه أحد، يرد الاعتداء عليه ولا يسكت، لكنه يعاملني دون غيري كأني أخ كبير له.

وأشهد أني كنت أجور عليه بالقول وأغلظ عليه باليد ولا يصبر على إيذاء أحد كما يصبر على إيذائي المتكرر له! وإني لأرى أن له على حقًا وأرجو ألا ألقاه يوم القيامة إلا مسامحًا.

فقد كنت أحبه ويحبني وأشتاق إليه ويشتاق إلي وما أن نجتمع حتى يحتد نقاشنا ويشتد، نتفق بالقلوب ونفترق بالعقول، أغلُبُه بحدّة نقاشي وعنف حجتي، ويغلبني باحترامه لي وما يحمله لي من مودة خاصة في قلبه.

كان ذا شخصية عسكرية مميزة لا خبرة لها بالسياسة! حاورته في أن العمل السري الجهادي في زماننا "زمن كثرة الشُّرَط والمخابرات" لا يجدي، وأن المخابرات تلعب بنا لعب الصبي بالدمى، لأنها متخصصة في كشف ذلك ونحن غير متمرسين بالعمل السري، وأن صرف الوقت في التوعية "في تلك الأيام" أجدى، فالوعي سلاحنا ريثما يفتح الله لنا ثغرة، ويبدو أنه اقتنع بعد خروجه من السجن، وفتح الله لنا الثغرة مع الثَّورة.

أخيرًا إني لأشهد أن الشهيد يونس كان غيورًا على دين الله، يشغل باله هم الأمة وحالها. يجتهد في التعفف أيام مراهقته ونشأته حتى إنه استشارني في بعض أساليب التعفف والتحصّن.

بهذه شهادتي لله وللتاريخ بأخي و"صديقي الذي أحبه" يونس دسوقي

سمير البَرْناوي.. القياديُّ الحرُّفي "حي التضامن الدمشقي"

"سمير البرْناوي" الذي ولِدَ عامَ ١٩٧٥م، كان أحدَ أبرز قادة المجموعات المسلَّحة في منطقة "التَّضامُن" المجاورة لمخيَّم اليرموك، والقياديَّ المُؤسِّس لـ "كتيبة شهداء الأقصى "منتصف عامِ ٢٠١٢.

جنّد عشَرات الشَّباب الفلسطينيّين والسُّوريّين من أبناء مخيَّم اليرموك وحيّ التَّضامن الدِّمَشقي جنوب دمشق، وقاد معارك عنيفة مع قوَّات أمنِ وجيشِ "النِّظام البائِد"، واتَّهمَه النِّظامُ بقتْل العديد من عناصره الأمنيَّة والموالِية، وبناءً عليه غدا مطلوبًا لأجهزتِه الأمنيَّة.

ثلاثةُ أشقَّاء.. مصائرُ مختلِفةٌ:

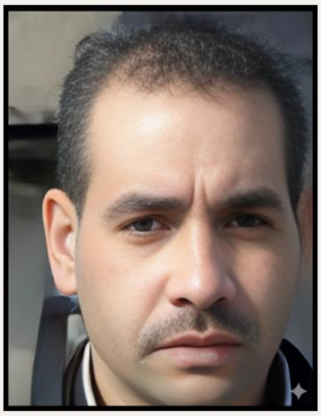

في ٢٠ أيلول/سبتمبر ٢٠١٢- وفي تطوُّرٍ مأساويّ - تدخَّلَتْ "الجبهةُ الشَّعبيَّةُ لتحرير فلسطينَ – القيادةِ العامَّة"، للتَّوسُّط لتسوية وضع "سمير" وشقيقه "فادي" (ولِدَ عام ١٩٧٦م)، ولكنَّها غدرَتْ بهما وقامَتْ بتسليمِهما لأجهزة أمن "النِّظام السُّوريّ" في ذلكَ التَّاريخ، ولم يُعرَف مصيرُهَما.

لم تقتصِرْ تضحيةُ العائلة على "سمير" و"فادي"، بل شمِلَت شقيقَيهما الآخرَين: "رأفت البرناوي" (أبو العبد) الذي قضى شهيدًا أثناء محاولته - مع مجموعةٍ من المعارضة المسلَّحة- اقتحامَ قسمِ التَّضامُن بتاريخ ١٥ تموز/يوليو ٢٠١٢.

و "شادي البرناوي" مواليد عام ١٩٨١م، الذي اعتقلَتْه أجهزةُ أمن "النِّظام" من مخيَّم اليرموك عامَ ٢٠١٢.

أمجد أبو حامد. بطل الرمل الجنوبي

من مواليد مخيم الرمل الفلسطيني في اللاذقية، مع انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١، كان أمجد واحداً من أوائل الشباب الفلسطينيين الذين خرجوا من مخيم الرمل الجنوبي هاتفين من أجل الحرية والكرامة.

لم يتردد في الوقوف في الصفوف الأولى للمظاهرات، ولم يتأخر حين بدأ القمع يشتد، بل كان من أوائل الثوار الذين انضموا إلى صفوف المعارضة المسلحة، وبرز كأحد الأبطال الذين تصدوا لقوات النظام السوري أثناء اقتحام الرمل الجنوبي في آب/أغسطس ٢٠١١.

انتقل بعدها إلى ساحات القتال في جبل التركمان، حيث استشهد في اشتباكات عنيفة مع قوات النظام السوري البائد يوم الثلاثاء ٤ آذار/مارس ٢٠١٣، جراء القصف العنيف الذي استهدف منطقة ربيعة بريف اللاذقية.

بعد استشهاد أمجد، سادت حالة من التوتر والغضب في أوساط أهالي مخيم الرمل،

بسبب الإجراءات الأمنية والقيود المشددة التي فُرضت على عائلته، حيث مُنع ذوو الشهيد أمجد أبو حامد من مواراة جثمانه الثرى ودفنه في مخيم الرمل، كذلك مُنع الأهالي حتى من إذاعة خبر استشهاده أو فتح بيت عزاء له في المخيم، في خطوة تهدف إلى التعتيم على دور فلسطيني سورية في الصراع.

جهاد علي الوَحش.. عاشقُ الشَّهادةِ والجِهادِ

والدُه:"علي حسين النُّميريّ" الملقّب بـ"الوحش" من منطقة "جُب يُوسف" بمدينة صفد الفلسطينيَّة، كان أشبهَ بالأسطورة التي تسير على قدمين بسبب عمليَّاتِه الشُّجاعةِ والمُعقَّدة ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والجولان، وأهالي الجولان وإصبع الجليل يروُونَ قِصصَهُ وبطولاتِه كما يروُونَ قصص "عنترة" و"الزّير".

أطلِقَ اسمُ "علي الوحش" على الشَّارع الذي كان يقطُنُ فيه، ويربطُ منطقة "السَّيّدةِ زينب" بالعديد من المناطق جنوب دمشقَ، وفي ذلك الشارع حصلَتْ واحدةٌ من أكبر مجازر "النِّظام السُّوريّ" بحقِّ الفلسطينيّين والسُّوريّين خلال الثَّورةِ السُّوريّة.

قضى ثلاثةٌ من أبنائه خلال الثَّورة السُّوريّة، أوَّلُهم: "جهاد" الذي قضى على يد "قوَّات مُوالِية للنِّظام السُّوريّ" دون ذنب، والثَّاني: "أمير" الذي ذهَب ليَسأل عن شقيقه "جهاد"، فأخذَه حاجزٌ للمجموعات الموالية للنِّظام، وقُتِلا معًا بتاريخ ١٢ أيلول/سبتمبر ٢٠١٢، أمّا الثَّالث، فهو: "نمر"، وقضى أيضًا على يد الميليشيات دون ذنبٍ.

يقولُ الدُّكتور "أحمد الفاضل"[1]: أمَّا عن "جهاد" المهاجِر الشَّهيد؛ فإنَّ له لأمرًا عجَبًا، وإنَّ له من اسمه لَحَظًّا عظيمًا، كان يتمتَّعُ بخصالٍ وسجَايا قلَّما تجتمِع في إنسانٍ، فمن ذلك:

حبُّه للجهاد في سبيل الله تعالى: حيثُ كان لا يفتُرُ لسانُه عن ذكرِهِ وخاصّةً في "ملتقى الأحباب والأصحاب"، فكأنَّ اسمه "جهاد" صار لسانًا ناطقًا يدعو للجهاد والشهادة، وما أكثرَ ما تمنَّى أن يخترِقَ الحدودَ والسُّدودَ، وكم حاولَ أن يصِل إلى ثرى فلسطين لِيموتَ شهيدًا على ثراها، لكنَّ "نظام المُمانَعة والصُّمود" حالَ بينَه وبين هذه الأمنِية.

وكان حريصًا على الرِّياضة وتقوية البدن: لا لِيُقالَ إنَّه من الأبطال، بل كانتِ الرِّياضة عنده لمغزىً عظيم هو: "الجهاد" فكان يركضُ كلَّ يوم بعد صلاة الفجر قاطعًا نحو عشْرة كيلو متر، وما أكثرَ ما التقيناه وهو ينتَهِبُ الأرضَ مُجِدًّا في ركضه، وهو فرِحٌ أشدَّ الفرَح، وقدِ انبلَج من وجهه نورُ الإيمانِ فنافسَ نورَ الصَّباح، وبعد أن يفرغ من رياضته ينعطفُ نحو البساتين التي تحيط بطريقه - وقد بزَغَتِ الشَّمسُ وارتفعت - فيَقِفُ بين يدي الله تعالى خاشعًا لِيركَع ويسجدَ طويلًا غائبًا عن الدُّنيا وما فيها مُلصقًا جبهته على

الأرض ممرِّغًا أنفه ذلًّا وحبًّا وعبوديةً لله سبحانه، ويُطيل في سجوده حتى تكاد تقول: إنَّ النوم قد أخذَه أو إنَّ الموت قد زارَه، ولا يتركِ القبلة والأرض والتُّراب حتَّى يأتي على ثماني ركَعات كاملات خاشعات...

كان مستورَالحال: ليس عندهُ إلَّا قوتُ يومه وليلته، عفيفَ النَّفس واليد واللِّسان، فإذا ضاق الأمر عليه، وعلى أسرته توجَّه للصيد فحصّل قوتَه منهُ، ولم يسأل أحدًا من الخلق قطُّ، وربَّما يبيت هو وأهله على كسراتٍ من الخبز إدامُها الغمْس بالشَّاي، وهذه سِمة الصَّالحينَ الزَّاهدينَ.

---

[1] الفاضل، جهاد، **الشهيد المهاجر جهاد الوحش**، موقع رابطة العلماء السوريين، ٠٥ أيار/ مايو ٢٠١٣، تاريخ الدخول:(١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٥): https://n9.cl/mysq5

وقد رأيتُه مرَّة في معهدٍ لتحفيظ القرآن الكريم يكنُس الأرض ويمسحها ويصنعُ الشَّاي للمُدرِّسين وهو في غاية السَّعادةِ أن أكرمه الله تعالى بخدمة من يقرأ القرآن العظيم ومن يُقرِئُه، علمًا بأنَّه كان يحفظ أكثر من نصفِ القرآن الكريم معَ إتقان القراءة والتِّلاوة..

ومِن أعجَبِ أحواله؛ أنَّه إذا رأى أحدًا من أحبابه أو ودّعه قال له: أريدُ منك شيئًا واحدًا لا غير، أن تدعوَ الله لي في ظُلمات اللَّيل والأسحار بأن يَمُنَّ عليَّ بالشَّهادة في سبيله ...!!

كان شديد التَّعظيم لشعائرِ الله: يغَارُ عليها غيرَتَه على أهله وعِرضِه، لا تأخذه في اللهِ لومة لائمٍ.

مروان الحلبي.. أيقونةُ الصُّمودِ، ثائرٌ حتَّى الرَّمقِ الأخيرِ

"مروان الحلبي" شابٌّ فلسطينيٌّ من مخيَّم الرَّمْل الجنوبيّ في اللاذقيّة، اعتبَره أهالي الرَّمل الجنوبيّ رمزًا للمقاومة والتَّضحية، حيث كان من أوائل الذين لبّوا نداء الثَّورة السُّوريّة وشاركوا فيها منذ بداياتها.

لعِبَ "مروان الحلبي" دورًا بطوليًّا محوريًّا خلال أصعب اللَّحظات التي مرّ بها الحيُّ، خاصّةً عند اقتحام قوَّات "أمن النِّظامِ" له مع بدايات الثَّورة السُّوريّة، فقام بمساهمةٍ جريئةٍ وخطيرة في إيقاف تقدُّم القوَّات المهاجِمة مؤقتًا، وكان الهدف من ذلك هو إتاحة الفرصة لإجلاء ونقل المصابين والجرحى من المشفى الميداني وإنقاذ حياتهم.

خلال عملية الإخلاء البطوليَّة، تعرَّض "مروان" لإصابة بليغة عندما اخترقَتْ رصاصةٌ رقبتَه وخرجَتْ من خدِّه، فسحبَه رفاقُه على الفور ويخوضوا رحلة تهريبٍ شجاعةٍ

ومحفوفةٍ بالمخاطر، حيث وضعُوه في شاحنةٍ صغيرة "سوزوكي" ثمَّ نجَحوا في عبور حاجزٍ أمنيٍّ باستخدام حافلة نقل عام مليئةٍ بالنِّساء، حيث أُخفِي تحت المقاعِد، لِيصِل إلى منطقة "الحفَّة".

لم تنهِ الإصابةُ رحلة "مروان"، فبعدَ تعافِيه التحَق بصفوف الثُّوَّار في المناطق المحرَّرة، واستمرَّ في مشاركته مع الثُّوار في سبيل الحرِّيَّة حتَّى اللَّحظة الأخيرة، إلى أن ارتقى في معركة صدِّ "فُلول النِّظام" في شهر رمضان، يوم ٧ آذار/مارس ٢٠٢٥.

يَحيى حوراني "أبو صُهيب".. حارسُ المخيَّمِ الوفيُّ

ابنُ مخيَّم العائدين بحمص، هو مدرِّبٌ دوليٌّ معتَمَد من "اللّجنة الدَّوليَّة للصّليب الأحمر" ومسؤول التَّنمية والتَّدريب في "هيئة فلسطين الخيريَّة"، عايَش "الحوراني" فترة حصار بيروت وبعد "الاجتياح" انتقلَ الى "مستشفى بيسان" في حمص، حيث أسَّس وطوَّر غرفة العمليات فيها وطوَّر جهاز التَّمريض، ثم عاد إلى لبنان عام ١٩٨٨م وعمِل في "مستشفى النَّاصرة" وأسَّس جهاز المتطوّعين وانْتُدِب للعمل والتَّدريب مع "اللَّجنة الدوليَّة للصَّليب الأحمر" و"الهلال الأحمر الفلسطينيّ"، وقد جرى إيفادُه من قِبَل "هيئة علماء المسلمين" إلى الصومال من أجل إقامة مشاريع طبِّيَّة وإغاثيّة هناك.

رفضَ الخروجَ من مخيَّم اليرموك خلال حصاره، وهبَّ وانتفض لنجدة أهالي اليرموك بعد أن خرجَتْ منه "الفصائل" و"منظمة التَّحرير" ومؤسَّساتِها، وتركتْ ورائَها أكثر من ٢٠ ألف مدنيّ، وهو من أبرز شخصيَّات العمَل الإغاثيّ والتَّنمويّ في مخيَّم اليرموك، حيث حمَل همَّ أبناء المخيَّم وعمِل على التَّخفيف من معاناتهم والخروج من أزمتهم.

يَروِي كلُّ من يعرف "الحوراني" أنَّه كان يرفض اللُّجوء إلى السِّلاح رفضًا كاملًا، وكان يُطالِب كلَّ الفصائل الفلسطينيَّة بأن تقِفَ على "الحِياد"، لكي تُجنِّب اللَّاجئين تداعيات أيِّ تدخُّلٍ، عمل منذ بداية الأزمة على التَّواصل مع مختلف الأطراف لتحييد المخيَّم، كي لا تمتد إليه النِّيران المجاورة، لكن وبعدَ قصف المخيَّم مرَّات عديدة ودخول المسلَّحين إليه، وهروب النَّاس منه، لم يكن أمامه من خيار سوى أن يَترُك مخيَّم سبينة ويتوجَّه إلى اليرموك.

في يوم الأرضِ ٣٠ آذار/ مارس من عام ٢٠١٥م، أطلقَ مُلثَّمون مجهولون النَّار عليه أثناء توجُّهه إلى عمله في "مشفى فلسطين"، ما أدَّى إلى إصابته بالرَّأس، نُقِل على إثرها للعناية المُركَّزة في "مشفى فلسطين"، ثُمَّ نُقِل إلى "مشفى يافا" خارجَ المخيَّم بسبب حالتِهِ الحرِجة، وهناك استُشهِد.

كانت أصابع الاتِّهام - بحسب مقرَّبين لأبي صهيب - تتَّجهُ إلى "داعش"، فهُو المستفيدُ الأكبر من قَتْله، لأنَّه كان يسعى دائمًا للدُّخول إلى المخيَّم والسَّيطرة عليه.

يروي الباحثُ "محمود زغموت" أحد المواقف البطوليَّة لـ "أبي صهيب": ذاتَ يومٍ جاء بِصهريج وقود لتشغيل مولِّدة المشفى حرصًا على حياة الجرحى، فحاصرتِ الصَّهريجَ "مجموعاتُ بَيان مِزعل"، وحاولتْ مصادرةَ المحروقات تحتَ ذرائعَ واهية، فوقف "أبو صهيب" وحيدًا في وجههم يوم ضعُف النَّاسُ وضَرب على صدره، وقال لهم: عليكم أن تُطلِقوا النَّار ههنا – مشيرًا إلى صدره- قبل أن تأخذوا المحروقات، فتركوه ومضَوا بعد أن تجمَّع النَّاس خوفًا من تأليب أهالي المخيَّم ضدَّهم.

فاتِن أم سميح.. أمُّ الكلِّ في الغوطة الشَّرقيَّة:

تُعدُّ قصّـةُ اللَّاجئة الفلسـطينيَّة "فاتِن الصَّـفَدي" (أمُّ سـميح)، التي تعود أصـولها إلى مدينة يافا المحتلَّة، نموذجًا فريدًا للتَّحدي والإصـرار في مواجهة انتهاكات الحرب والحصار في سوريا.

المطبخُ الخيريُّ في قلب الحصار:

بدأت "أمُّ سـميح"، وهي خرّيجة كليَّة الأدب الإنجليزيّ من جامعة دمشـق، عمَلها الإنسـانيَّ في غوطة دمشـق - وتحديدًا في مدينة حرسـتا - بعد أن فرَض "النَّظامُ السُّوريُّ" حصارًا خانقًا عليها. فبَعد خروجِها من "فرع الخطيب "التَّابع لأمن "النِّظام" في دمشـق عامَ ٢٠١٤م، قرَّرتْ دخول الغوطة في وقتٍ وصـلَ فيه سـعر كيلو الأرز إلى مستويات قياسيَّة.

أسَّستْ "أمُّ سميح" مطبخًا خيريًّا متواضِعًا بتمويل أوَّليّ بسيطٍ، وسُرعان ما تحوَّل إلى مؤسَّسـة "يدٍ واحدة "الإغاثيَّة، وقادَتْ "أمُّ سـميح" العمل بنفسـها، ابتداء من الطَّبخ والتَّوزيع إلى التَّوثيق وإدارة صفحة التَّواصل الاجتماعيّ.

بدأ المطبخُ بإعداد الطَّعام لقرابة ٢٥٠ عائلة في حرسـتا، ثمَّ توسَّـع نطاقُ عمله ليشـمل بلدات أخرى في الغوطة الشـرقية مثل "زبدين" و"دير العصـافير" و"بيت نايم" و "المحمَّديَّة"، وصولًا إلى المناطق الأكثر خطورة كـ "جوبر".

كانت "أمُّ سميح" تقود شاحنتها الصغيرة "سوزوكي" أو تسير مشيًا - بل وزحفًا أحيانًا - بين الرُّكام وتحت القذائف لتوصِل الطَّعام للمحتاجين، مُصِرَّة على الاستمرار "لأجل أطفالٍ حُرموا طفولَتهم".

لم يكُن عملُها سهلًا؛ فقد اعتُقِلتْ ثلاثَ مرَّات بسبب مشاركتها في المظاهرات، وتعرَّضت للتَّعذيب، ولم يُثْنِها سؤال ضابط التحقيق في أمن "النِّظام": "أنت فلسطينيّة.. فما علاقتك بسوريا؟ " عن الاستمرار في عملِها الإنسانيِّ.

في صباح ٢٢ آذار/مارس ٢٠١٨، أُجبِرت "أمُّ سميح" على التهجير مع آلاف المدنيّين من حرستا إلى شمال سوريا، ولكنَّها رغم ذلك استمرَّت في عملها الخيريِّ هناك.

بعد التَّهجير، بدأَتْ "أمُّ سميح" بترتيب أوراقها مُجدَّدًا، واستطاعت أن تكتسب لقبها الجديد: "أمِّ الكُلِّ"، فإلى جانب المطبخ الخيريِّ، استطاعَتْ بفضل ثقة المُتبرِّعين بها أن تُؤمِّن كفالات لعشرات الأيتام وتفتح مشاريع تجاريّةً لعدد من المُهجَّرين، مؤكِّدة على أنَّ العمل الإنساني لا يتوقَّفُ عند جغرافيا أو حدود.

مجموعة العمل
من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

مصطفى الشّرعان "أبو معاذ".. بسمةٌ على شفاه المحتاجين

من أهالي قرية "لوبية" قضـاء طبريّا في فلسـطين المحتلّة ومن سـكّان مخيّم اليرموك، المسؤولِ السَّابق لـ"هيئة فلسطين الخيريَّة" في مخيَّم اليرموك، ومديرِ "مؤسَّسة الوفاء الخيريَّة"، "الشَّرعان" وهب حياتَه ووقتَه لخدمة أبناء شعبه، وعمِل على إغاثة النَّازحين إلى مخيَّم اليرموك منذ اليوم الأوَّل لدخولهم إليه في مراكز الايواء وفي منازلهم، ونذَر نفسَـه لخدمة أهله يوم انفضَّ الجَمعُ وخرَج النَّاس من اليرموك، وأصرَّ على مساعدة الكبار والصغار، وكان يألَم لِوَجَع أبناء المخيَّم ويفرحُ لِفرَحِهم، وكان يسعى دائمًا لرسم البسمة على شفاه الأطفال والنِّساء وكبار السنّ.

في ١٢ تموز/يوليو من عام ٢٠١٥م، أطلق مُلثَّمون مجهولون النَّار عليه عقِب خروجه من صلاة التَّراويح من جامع عبد القادر الحُسينيّ، ونُقِل على إثْرها إلى بلدة "يلدا" المجاوِرة للمُخيَّم لتلقِّي العلاج فيها، لكنَّه توفِّي بعد ساعةٍ بسبب إصابته الخطيرة، وعدم توفُّر المستلزمات الطِّبِّية الضَّروريَّة لعلاجه، يقول أصدقاؤه عنه: "إنَّ يدَك البيضاءَ التي امتدَّت لِتُساعد أبناء شعبِك، ستُلاحقُ من قام باغتيالِك"، "أعرفُ أشخاصًا ليسوا أنبياء، ربما ما كان لهم أن يكونوا كذلك، لكنَّ فيهم شيئًا عظيمًا، يجعلهم في نظري مُحمَّدِيّين، فمُحمَّد صلى الله على وسلم - الذي كان رحمةً للعالمين- وعرفْتُ أشخاصًا تجلَّت فيهم الرَّحمة المُحمَّديَّة: قلوبُهم رقيقةٌ كأنها منسوجة من هشاشةٍ، وعيونُهم ألِفَت طريقَها إلى البكاء، وأكفُّهم مخلوقةٌ للبَذل والنَّجدة، أحسبُك يا أبا معاذ واحدًا منهم".

خالِد بكراوي.. أيقونةُ العطاءِ وصرخةُ اليرموك

وُلِدَ الشهيد "خالد بكراوي" عام ١٩٨٨م، لعائلة فلسطينية من قرية "لوبية" قضاء طبريّا، كبُر "خالد" وكبُر معه الهمُّ الوطنيُّ الذي ترافق مع هِمَّة الشَّباب واندفاعه، فكان مثالَ الطَّالب الفلسطينيّ والمِنبَر المُدافِع عن حقوق شعبه وحُرِّيَته في كلية الدِّراسات القانونيَّة في جامعة دمشق.

عُرِفَ الشهيد "خالد" بنشاطه ضمن المؤسَّسات التَّنموية الشَّبابيَّة، فكانَ من مُتطوّعي مؤسَّسة "طمي التّنموية الشَّبابيّة" وكذلك في "مؤسَّسة جفرا" و"مراكز دعم الشَّباب التَّابِعة لأونروا"، ليصبحَ بعدها من أبرز النَّاشطين في مجال تدريب الشَّباب الفلسطينيّ بالمخيَّمات.

كان لـ"خالد" حضورٌ لافتٌ في كلِّ المناسبات الوطنيَّة الفلسطينيَّةِ فتَراهُ يهتِفُ للشَّهيد ولفلسطين، فقد جُرح في حزيران عام ٢٠١١م، وهو يحمل مكبرّ الصوت مُحاوِلًا إبعادَ الشَّباب عن رصاص الاحتلال فكان دِرعهم الذي تلقَّى رصاصَتين لم تفلحا في قتله.

لقد ثبتَ الشَّهيد في مخيَّم اليرموك يوم هجَرَه أبناؤُه على خلفية الأحداث والمصائب التي ألَمَّت به، وفضَّل البقاء وأعلن للملأ أنه باقٍ ولن يغادِر ولن يتنازَل عن مبادئٍ طالما تغنَّى بها وحدَّث خلَّانه بها، فالمخيَّم كان محطَّته الأولى التي بدأ يخطُّ فيها طريقَ عودته إلى قريته "لوبية" في فلسطين، ولم يضَعْ لِنفسهِ محطَّةً أخرى سوى "فلسطين" ففضّلَ البقاءَ على الخروج، يخدِم منِ استطاعَ وبما استطاعَ من أهلِه وإخوانه.

"خالد بكراوي" ابنُ المخيَّم النَّاشطُ الإغاثيُّ الحالِمُ بمستقبلٍ أفضلَ له ولأبناءِ شعبه، "خالد" الذي تسلَّح بالقلَم والعِلم وخاض غِمار العمل الانسانيّ بجسده النَّحيل فأجاد وأبدع في خدمة من نزَح إلى المخيَّم عندما اشتعلتِ الثَّورةُ في المناطق المجاورة وغصَّ بالنازحين، وعمِل بإحساس الإنسان الشَّفيق على أخيه الإنسان دونما النَّظر إلى أيّ اعتباراتٍ أخرى.

لم يرُقْ لأعداءِ الانسانيَّة سلوكَ "خالد" ولم يُرضِ البعضَ، فتربَّصوا به في "منطقة المزَّة" بمدينة دمشق ليُغيّبوه في السجون يوم ١٩ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣، ظنًّا منهم بأنهم سيُفلِحوا في القضاء على صوتٍ بات يُرعِبهم ويقضُّ مضاجِعَهم، إلا أنَّهم لم يعلموا أنَّ صوتَه خالدٌ كاسمِه، فترانيم هتافاته في زفاف الشهداء وصورتُه وهو يعتلي أكتافَ أصحابِه في مواكب الوداع حاضرةٌ.

يقول د. طارِق حمّود: "إنَّ خالدًا لم يخضعْ ولم يقبلْ بالمذلَّة، وفضَّل الموت على بيع المبادئ، ولكنَّه لم يحتَمِلْ ظُلمَ جلَّاديه وتعذيبَهم، حتَّى فاضَتْ روحُه الطَّاهرة إلى ربها، تاركًا إرثًا كبيرًا عنوانه العطاءُ، ومضامينُه التَّضحيةُ وحروفُه الإباء، في ظروف مجهولةِ الزَّمان في أقبية التَّعذيب"، لم يحتمِل قلبَ "خالد" الصَّغير بحجمهِ، الكبير بعطائه، ظلمَ جلَّاديه وتعذيبَهم، "خالد" استشهد تحت التعذيب في سجون "الأسد" بعد شهرين من اعتقاله.

قال صديقُه "إبراهيم تْريسي": "عرفتُ "خالد بكراوي" في مخيَّم اليرموك أثناء موجة النُّزوح الكبيرة لأهالي حمص وبعض المدن الأخرى المنكوبة في عام ٢٠١٢م، في ذلك الوقت كنَّا نعمل أنا وبعضُ الأصدقاء على جمع الأشياء المستعمَلة وتقديمها للمدارس التي تحوَّلتْ

إلى مراكز إيواء في المخيَّم، وهناك قابلتُ "خالد" في إحدى المدارس حيث كان يقوم بالإشراف عليها ومساعدة النَّازحين.

كُلُّ ما كنت أعرفُهُ عنه هو اسم "أبو محمد" الاسم الذي استخدمَه "خالد" للتَّواصل معي، لم أعرف اسم "خالد بكراوي" حتَّى يوم استشهاده تحت التَّعذيب في أحد فروع أمن النِّظام، عندما رأيت صورتَه على الفيسبوك وتعليقًا مقتضبًا يقول بأن "خالد" استشهد تحت التعذيب .

قابلتُ "خالد بكراوي" ثلاثَ مرَّات.. لدقائقَ.. ولكنَّني أُريد أن أدَّعي أنَّنا قضينا أيامًا طويلة سويًّا، أريد أن أقول لكم أنَّنا مَشينا سويًا من حيِّ التَّقدُّم حتى شارع لوبية وصولًا إلى شارع فلسطين، أريد أن أقول إننا سهرنا طويلًا على طُرقات المُخيَّم: نُدخِّن ونضحكُ ونحلُم بفلسطين، وعلى الطَّريق الممتدِّ من دمشق إلى القدس، سأقول لكم أن "خالد" كان صديقي، وأن حجارة المخيَّم تشهدُ على ذلك، وأقول بأني أُحبه، حيًّا في ضميري وذاكرتي إلى الأبد.

خالد الخالدي.. "أبو ماريا" الشُّجاعِ المُتفاني

على مدار سنواتٍ من التَّطوُّع ضمن فريق "هيئة فلسطين الخيريَّة"، كان "أبو ماريّا" نموذجًا رائعًا للشابِّ الشُّجاع والمتفاني في خدمة أهله ومخيَّمِه "خان الشِّيح" بريف دمشق، لم يوفِّر جهدًا في سبيل تخفيف آثار الحرب والحصار عن أهالي المخيَّم والمهجَّرين على حدٍّ سواء، معطاءٌ لا يُثنيه تعبٌ ولا خوف، ومن خيرة الشباب التي تفتخر "الهيئة" بهم، فكان أنِ اختاره اللهُ إلى جانبه شهيدًا جميلًا..

قضى مساء الخميس ٢٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦م على طريق منطقة "زاكية"، اغتالتْه قوّاتُ "النّظام" أثناء محاولته إدخال **الخبزِ** إلى أهالي "مخيَّم خان الشِّيح" المحاصَرين لمدة ٢٧ يومًا حينها والقابعينَ تحت الجوع والحصار والقصف والدَّمار.

رثاهُ أصدقاؤُه: خالد أيضًا...! خالد الخالدي

خالدُ المهذَّب اللَّطيفُ الضَّاحِكُ.. خالدُ النَّقيُّ الطَّاهِرُ

خالد أيضًا؛ اغتالتْه النِّيرانُ الحاقدةُ وهو يحاولُ أن يدخِلَ لقيماتٍ الى أطفالٍ جياعٍ تقتلُهم الغارات والمدافع وتحاربهم إنسانيّةٌ ماتَ ضميرُها..

ننعي إليكم الشهيد "خالد حسن الخالدي"..

الرَّحمةُ والسَّلامُ لِروحِك.

باسل خَرطبيل.. رائدُ الإنترنت الحرّ

يمثِّل "باسل خرطبيل" (المعروف بباسل الصفدي)، المهندس والمبرمِج الفِلسطينيّ السُّوريّ، قصَّةً مؤثِّرة عن تضحية العقلِ المُستنير في سبيل حرّية المعرفة والتعبير، والتي انتهتْ بمصيرٍ مأساويٍّ في سجون "النِّظام السُّوريّ".

وُلد "باسل" في دمشق عام ١٩٨١م، واشتُهِر كأحَد أبرز المُبرمجين في سوريا، وكان رائدًا في مجال المصادر المفتوحة، وكان له دور مِحوَريٌّ في نشر المعرفة وطريقة الوصول إليها لعموم السُّوريّينَ عبرَ مساهماته الفاعلة في مشاريعَ عالميَّةٍ كـ"موزيلا فايرفوكس" و "ويكيبيديا"، كما أطلقَ برنامج "آيكي" للتِّقنيَّات التَّعاونيَّة.

اعتقلتِ أجهزة أمن "النِّظام السُّوريّ" "باسل الصفدي" في ١٥ آذار/مارس ٢٠١٢، بعد أن أثارَت مساهماتُه في تعزيز حرّية التَّعبير قلقَ سلطاتِ "النظام السُّوريّ البائد"، وقضى باسل ٨ أشهر محتَجزًا ومعزولًا في سجن "المخابرات العسكريَّة" بكفرسوسة، وبعدها نُقِل إلى "سجن صيدنايا العسكري"، حيث تعرَّض لشتى أنواع التعذيب قبل أن يُنقل إلى "سجن عدرا المركزي" في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢، حيث تمكَّن أخيرًا من لقاء زوجته المحاميَّة "نورة غازي صفدي" وعائلته.

في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٥، انقطعَتْ جميعُ الاتِّصالات به بعدَ نقلِه بصورة مفاجِئةٍ من "سجن عدرا" إلى مكانٍ مجهول، تبيَّن لاحقًا أنَّ "محكمة الميدان العسكريَّة" حكَمَتْ على "باسل" بالإعدام.

ورغم إثارةِ اعتقالِه الرَّأيَ العامَّ العالميَّ وخروجَ مظاهرات متزامنة في عدَّة عواصم تُطالِب بإطلاق سراحه، إلا أنّه مَثُل أمام محكمة ميدانية عسكرية سريعة وسِرّية في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢، دون تمثيل قانونيٍّ فعَّال.

في ٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٥، نُقلَ "باسل" من سجن عدرا إلى مكان مجهول، ليدخل في عداد المختفين قسريًا، وفي عام ٢٠١٧م، تلقَّت زوجتُه "نورا" تأكيدًا رسميًّا بإعدامه.

أثارت قضية "باسل الصفدي" غضبًا عالميًا ودعوات مُستمرَّةً لإطلاق سراحه من قبل منظمات حقوقية مثل: "العفو الدولية "و "مجلس كريتف كومونز"، وقد حظِي "باسل" بتكريم دوليٍّ رفيع لجهوده، ومن ذلك:

- اختارتْه مجلَّةُ "فورين بوليسي "عام ٢٠١٢ كواحدٍ من أفضل ١٠٠ مفكِّر عالميّ.
- منحتْه منظّمةُ "مؤشِّر الرَّقابة "الدولية جائزةَ الحرّية الرَّقمية لعام ٢٠١٣.
- تخليدٌ مِهَنِيٌّ :مُنِحَ منصبَ "عالم أبحاث" في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)بعد اختفائه، وعرَض عليه "مجلس كريتف كومونز" منصب زميل، كما أطلقت شركة فرنسية شهيرة على إصدارٍ جديد من برنامجها لتحريكِ الشَّخصيات اسم "DuikBassel"تخليدًا لذكراه ومساهماته في البرمجيات الحرة.

فؤاد العمر"أبو باسل".. الإغاثيُّ والمناضِلُ الحُرُّ

من مواليد مخيَّم العائدين بحمص، متزوج وله عدة أولاد وبنات، وهو ابن لعائلة فلسطينية مناضلة من قرية الشجرة قضاء طبريا، التي هُجّر أهلها عام ١٩٤٨ على يد العصابات الصهيونية، انتمى إلى الثَّورة الفلسطينية و"جبهة التحرير الفلسطينية" مبكرًا، وتميّز خلال مسيرته الكفاحية الطويلة بعشقه لوطنه، وبانتمائه الصادق لقضية شعبه العادلة، كان أحد أعضاء قيادة الجبهة في سوريا، وكان رئيسًا لـ"لهيئة الوطنية لإغاثة مخيَّم اليرموك"، وناشطًا في مجال عمله التطوعي، عملت "الهيئة الوطنية الفلسطينية" خلال حصار مخيَّم اليرموك في المجال الإنساني والإغاثي في شارع اليرموك ونقطة العبور "ساحة الريجة"، والذي تمثل بمساعدة الأهالي خروجًا ودخولًا، ونقل الجرحى، والمرضى الفلسطينيين والسُّوريّين، إلى المشافي الحكومية ودفن الشهداء وغيرها، أصيب "فؤاد العمر" بطلق ناري غادر في الصدر وهو يؤدي واجبه بالإشراف على توزيع المعونات الغذائية لسكان مخيَّم اليرموك في كانون الثاني/يناير ٢٠١٤، اتَّهم "العمر" حينها مسلَّحي حركة "فتح الانتفاضة" بإطلاق النار عليه لقتله خلال تنسيق إخراج الجرحى والمرضى من مخيَّم اليرموك الذي كان محاصرًا، بعد قرابة شهر من الحادثة السابقة، استدرَجت عناصرُ محسوبة على "القيادة العامة" والمخابرات السُّوريّة "أبو باسل" إلى الحاجز العسكري في أوَّل المخيَّم، ثم شوهِد معصوبَ العينين برفقة عناصر من القيادة العامَّة والأمن السُّوريِّ، واختفى حينها إلى أن أبلغ عن استشهاده في المعتقل تحت التعذيب يوم الأحد ١١ أيار/مايو عام ٢٠١٤.

عصام خزاعي.. ساعي الخير للمحاصرين جنوب دمشق

على "حاجز الموت" القريب من مخيم الحسينية بريف دمشق، لا يزال أهالي المخيم يتذكرون تلك اللحظة التي لم تغادر ذاكرتهم: صوتان يترددان في الظلام... "أشهد أن لا إله إلا الله".

كان ذلك صوت عصام ذياب خزاعي ورفيقه، قبل لحظات من إعدامهما بدمٍ بارد على يد عناصر حاجز عسكري تابع لقوات النظام السوري، في ساعةٍ متأخرة من مساء الثلاثاء، ٨ **كانون الثاني/يناير ٢٠١٣**، بالقرب من **مخيم الحسينية** بريف دمشق.

عصام، ابن مخيم السيدة زينب بريف دمشق، وواحد من أبناء الدوّارة – قضاء صفد، عرفته المخيمات قبل الثورة وهو يلصق صور شهداء فلسطين على الجدران.

وفي الثورة، كان في طريقه لإدخال مساعدات إغاثية إلى أهالي جنوب دمشق المحاصرين، برفقة رفيقه عمر هلال صالح، عندما أوقفهما الحاجز.

اعتُقلا لساعات، وتعرّضا لتعذيبٍ وحشيّ، ثم أُعدما ميدانيّاً، ورُميت جثماناهما قرب المخيّم، رغم أنه كان معروفاً لعناصر الحاجز، ورغم إبرازِ بطاقته الشخصيّة، إلّا أن ذلك لم يشفع لهما. أُهين الجسد، لكن بقيت الكرامة في الصوتِ الأخير... ذلك التشهّد الذي سمعه سكّان المنطقة، وبقي شاهداً على لحظةِ الرحيل، وإرثه الذي ينهض من جديدٍ في ابنته بيسان.

الطَّبيب هايِل حمّيد.. كلمةُ الحقِّ ودواءُ الجرحى

من مواليد قرية "دلَّاتا" شرقَ مدينة صفد بفلسطين عام ١٩٤٨م، ومن أبناء مخيَّم اليرموك بدمشق، كان أستاذًا بكلِّية الطِّبِّ في جامعة دمشق، وعمِل رئيسًا لقسم الجراحة العامَّة في مشفى "الأسد الجامعيّ".

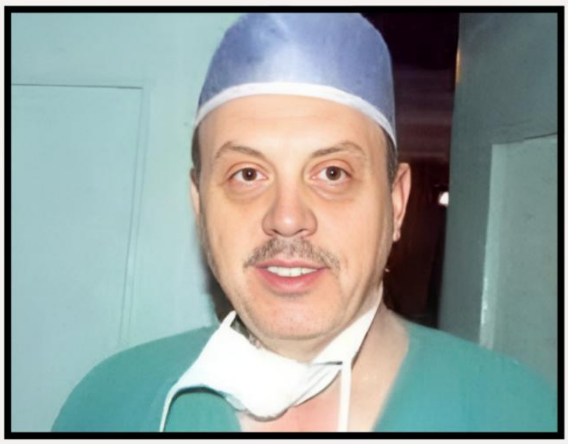

كتبَ الطَّبيبُ "عمّار ميداني" عن أستاذه الدّكتور هايل: "البروفيسور الأستاذ الدّكتور "هايل حمّيد" صاحبُ الفضلِ الكبيرِ على كثيرٍ من أطبَّاء الجراحة في الدِّراسات العليا "الماجستير" في جامعة دمشق - وأنا منهم - لأنَّه كان يحمِلُ الزَّمالة البريطانيَّة، وكان عدد الجرَّاحين الذين يحملون هذه الزَّمالة في سوريا قليلٌ جدًا، ويتمُّ عادةً الخلْط - عمدًا أو بغير عمْد - بين العُضوية وهذه للمبتَدئ، والزَّمالة في الكُلِّية الملَكيَّة البريطانية للجراحة.

لقد كانتِ الكلِّيةُ الملَكيَّةُ تثِقُ به وتحتَرم توقيعَه على دفتر العمليَّات الجراحيَّة التي نُجريها في سوريا، لِنَتمكَّن من تقديم امتحان العُضوية في بريطانيا ثمَّ الزمالة.

هو عِصاميٌّ فلسطينيٌّ سوريٌّ يحمِل الجنسيَّة البريطانيَّة، كان يجلس في مكتب الجراحة البوليَّة معَ أطبَّاء البوليَّة وزراعة الكلى مع بدء الثَّورة السُّوريّة في المشفى الوَطنيّ "الأسد سابقًا"، ويقول كلمتَه بكلِّ وضوحٍ - دون خوف من الوُشاة والمُفسدين "كُتَّابِ التقارير الكيديَّةِ في المشفى"، والذي كان يعرفُه الجميع - حيث قال: "الجيشُ السُّوريُّ مجرمٌ؛ يقتحِم البيوتَ والنساءُ بثياب نومهِنَّ، ويعتقلهُنَّ ويطلقُ النَّار على المتظاهرين السِّلميّين... هذا ليس بِجَيشٍ".

طُلِب للتَّحقيق أولَ مرَّةٍ، وأذكرُ حوارًا دار بيني وبينه "رحمه الله" في غرفة العمليَّات يومَ الثُّلاثاء - يوم زراعة الكلى في المشفى- سحبتُه من يده وسألتُه: "ماذا جرى معك في التَّحقيق؟" قال: "تمسَّكْتُ بأقوالي، وقلتُ رأيي بصراحة، وما خِفْت منهم"، قلت له: "يا أستاذ، أُقبِّلُ يدَك، ليس من الضَّروري أن تقولَ رأيك، هؤلاء وحوشٌ لا رحمةَ في قلوبهم".

بعد أسبوعٍ، اعتُقِل من عيادته في مخيَّم اليرموك - وكان الواشي في مكتبِ الجِراحة حينها - فتعمَّدْتُ الاتِّصال بمنزل الأستاذ "هايل" عندما سمِعنا الخبرَ، وقالتِ ابنتُه على الهاتف: هكذا اعتُقل من العيادة، حسبما أذكر، وكانتْ مرتعِدةً وخائفةً.

هذا الحادث حصلَ في منتصف عامِ ٢٠١٢م، ويبدو أنَّ المجرمين استمرُّوا بابتزاز أُسرته حتَّى بعد استشهاده عامَ ٢٠١٥، وبدا أنَّ الحكومةَ البريطانيَّة لم تكترِثْ لحاله ولم تحرِّك ساكنًا.

رحمِك اللهُ يا شهيدَ كلمةِ الحقِّ، يا أستاذُ، يا معلِّمُ، يا صاحب الفضلِ على كثيرٍ منّا، نرجو الله أن ينتَقم من كل من كان له يدٌ في اعتقالك وتعذيبك واستشهادك.

أنتَ نبراسٌ لِكُلِّ جرَّاحِ دراسات عليا تدرَّب على يديك في دمشق، فيك دمٌ فلسطينيٌّ طاهر وعصاميٌّ، وأنت مَرهَمُ شفاءٍ لكلِّ مريض عالجْتَه بِمبْضَعك الجراحيِّ".

اعتُقِل الطَّبيبُ بسبب عِدَّة تُهَمٍ بينَها: "معالجة جرحى المظاهرات" في عيادته بمخيَّم اليرموك، وهو واحد من بين ٣٦ معتقلًا فلسطينيًّا كشفَتْ وثيقةٌ مُسرَّبةٌ نشرتْها "زمانُ الوَصْل" في الشَّهر العاشرِ من عام ٢٠٢٥ عن مصيرِهم، وتُظهِر الوثيقةُ أنَّ أجهزة أمن "النِّظام السُّوريِّ" سلَّمَت جثامين المعتَقلين التِّسعين إلى مشفى حرستا العسكريِّ دون إعلام ذويهم أو تسليمِهم الجثامين، ما يعكس سياسة الإخفاء والحرمان من الحق في الوداع والدَّفن.

الطَّبيبُ "أحمد الحسَن.. جرَّاحُ المخيَّم الذي آثر القسَمَ على النَّجاةِ

أحمد نوَّاف الحسَن، الطَّبيبُ الجرَّاحُ الفلسطينيُّ الذي وُلِد في مخيَّم اليرموك عام ١٩٨٤م، والذي ينحدر من قرية حِطِّينَ بقضاء طبريَّا، تخرَّج "أحمد" من كليَّة الطِّبِّ بجامعة حلب عام ٢٠٠٨م، وبدأ مرحلة التَّخصُّص في الجراحة العامَّة.

في أواخر عام ٢٠١٢م - وفي ظلِّ التَّدهْور الأمنيِّ ودخول مخيَّم اليرموك أتونَ المعارك - قرَّر الدّكتور "أحمد" مغادَرة سورية، لكنَّه ما لبث أن آثَر العودةَ إلى المخيَّم عندما علِم بانسحاب مُعظم الأطبَّاء، لِيَجِدَ المخيَّم تحت حصار جُزئيٍّ ويكادُ يخلو من أيِّ طبيب مُختصٍّ بالجراحة.

بقيَ الطبيب "أحمد الحسن" في "مشفى فلسطين" التَّابع لـ "الهلال الأحمر الفلسطيني"، الذي أصبَح المشفى الوحيد العاملَ في منطقة جنوب دمشق بأكملها، والتي كانت تضم: اليرموك وعدة بلدات محاصَرة.

كرَّس الطَّبيبُ خبرتَه لتأهيلِ الكوادِر المُتاحَة للتَّعامُل مع جرحى القصف اليوميِّ الذي كان يستهدِف المنطقة، محافظًا على شرف المهنة وواجب القسَم رغم المخاطر الجسيمة.

كانت قوَّاتُ "النِّظام السُّوريِّ" قد حوَّلت اليرموك إلى مكان غير صالحٍ للعيش نتيجة الحصار الجائر، ومنَع دخول المياه والكهرباء والمواد الغذائيَّة والطِّبيَّة إليه.

في ١٧ حزيران/يونيو ٢٠١٣، ارتقى الطبيب "أحمد الحسن" شهيدًا فيما عُرِف بـ"مجزرة مشفى فلسطين"، حينما استهدفَتْ قوَّاتُ "الأمن السُّوريّ" المشفى بالقذائف في وقتٍ

كان فيه الطبيب "أحمد" يستقبِل حالةً إسعافيّةً أمام البوَّابة، وأدَّى القصفُ إلى استشهاده الفوريّ إلى جانب مُمرِّضةٍ وأربعةٍ من المارَّة.

رحلَ الطبيب "أحمد الحسن"، تاركًا خلفَه زوجَته وطفليه التَّوأم "تَيم وتالا"، لكنَّ ذكراهُ بقيت حيَّةً في قلوب أهالي المخيَّم ومئات الجرحى والمَرضى الذين كُتِب لهم البقاءُ على يديه.

لقد صدَق الطَّبيبُ "أحمد" في عهده حين رفضَ المُغرَيات التي قُدِّمَت له للخروج، قائلًا: "لن أترُكَ النَّاسَ وحدَهم ولن أخرُج من المخيَّم إلا لجوار ربِّي".

مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

الطبيب عادل الحصان.. دفع حياته ثمناً لخدمة الثوار في درعا

في مخيم درعا للاجئين الفلسطينيين وُلد الطبيب عادل الحصان وترعرع بين أزقّة لطالما حملت همّ الوطنين: فلسطين وسوريا. لم يكن مجرد طبيب أنف وأذن وحنجرة، بل كان إنساناً يرى في مهنته رسالة قبل أن تكون عملاً، وواحداً من الشخصيات الوطنية المعروفة في المخيم.

منذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة السورية في درعا عام ٢٠١١، كان الدكتور عادل من أوائل من هبّوا لإسعاف الجرحى والمصابين الذين سقطوا برصاص قوات النظام السوري. تحولت عيادته المتواضعة داخل المخيم إلى شبه مستشفى ميداني.

فقد بدأ النظام يرسل له التهديدات، وبدأت الأجهزة الأمنية تراقب تحركاته، وتشتكي من موقفه الداعم للمتظاهرين، كما ازداد الخلاف بينه وبين الجبهة الشعبية – القيادة العامة التي أعلن انفصاله عنها، رافضاً موقفها المؤيد للنظام.

قبل استشهاده بأسابيع، اقتحمت قوات أمنية عيادته في مخيم درعا وقامت بحرق جميع المعدات الطبية في الداخل، ورغم ذلك استمر بعلاج الناس، رافضاً أن يترك جريحاً دون عناية.

وفي يوم ١٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢ اقتحم خمسة عناصر أمنيين حي القصور في مدينة درعا، وصعدوا إلى الطابق الثالث حيث يعيش الدكتور عادل مع عائلته، سحبوه من غرفته أمام أطفاله وزوجته، واقتادوه إلى الطابق الأول "قيد التعمير"، وهناك نفذوا حكم الإعدام مباشرة.

سادت حالة من الغضب في الحي، وخرج الجيران من منازلهم، فيما انتشرت قوات النظام في الشوارع خوفاً من ردة فعل الأهالي. نُقل جثمانه بسيارة إسعاف إلى مستشفى درعا الوطني وسط حالة من الصدمة والحداد.

الطَّبيب حسّان مُصطفى.. قمرٌ فلسطينيٌّ في الثَّورةِ:

الطَّبيبُ والشَّيخُ الخطيبُ والقائدُ العسكريُّ الفلسطينيُّ "حسّان إبراهيم مُصطفى "هو قمرٌ وقائدٌ لم يتركْ جانبًا من جوانب الخير إلا وشارك فيه، وحثّ عليه، وهو شخصيّةٌ - يعتبر كلُّ من عرَفها في حصار اليرموك - أنه مهما بلغَ في وصفِه، يبقى مُقصِّرًا بحقِّه.

كان الطَّبيب "حسّان" من سكَّان "حيِّ التَّضامن الدِّمشقي" الملاصقِ لمخيَّم اليرموك، وامتلك عيادةَ طبِّية بتخصِّص "أنف وأذن وحنجرة" على شارع فلسطين، وخلال فترة حصار اليرموك، تعدَّدت أدوار "حسَّان" في خدمة أهله، نذكر منها:

- الجانب العسكريّ: كان من أوائل المنحازين للثَّورة السُّوريّة، في آب/أغسطس ٢٠١٣، أسَّس وقاد "كتيبة الذّاكرين" التي نشطَت في مخيَّم اليرموك وحيِّ التَّضامن، وخاض مع رفاقه العديد من المعارك على جبهتي "بلَديَّة اليرموك" وشارع فلسطين، وشارعيْ "السْبُورات" و"نسرين"، رغم غياب الدَّعم وقلَّةِ الإمكانيَّات.

- الجانب الدَّعَويّ: كان خطيبًا وإمامًا في عدَّة مساجد بالمخيَّم وحيِّ الزَّين المجاور، ركَّز في خُطَبه على حثِّ أهل الحصار على الصَّبر والثَّبات واليقين بالله، وندَّد بإجرام "النِّظام السُّوريّ" وحرَّض على قتاله.

- الجانبِ الطِّبِّيّ: عمل في "الجمعيَّة الخيريَّة الفلسطينيَّة" (مشفى الباسل سابقًا)، وتولَّى إدارتها، مُقدِّمًا خدمات طبّية جليلة لعشرات المرضى يوميًا رغم نقص المعدَّات، كما عمل في قسم العيادات المجَّانيَّة التابع لـ"هيئة الأقصى الخيريَّة"، حيث عالج عشرات الحالات المَرضيَّة مجَّانًا، وكان معروفًا بِرَقَّتِه ولُطفِه وصبره وابتسامته التي لا تفارِقُه.

وبحسبِ النَّاشط "باتِر تميم" كان الطبيب "حسَّان" يرتدي ثيابًا متواضعة وحذاءً باليًا، رافضًا عروض "النِّظام" بالخروج من الحصار والعمل في أرقى المستشفيات، لقدِ اختار نعيم الآخرة على متاع الدنيا، مُعتقِدًا أنَّ "الآخرةَ خيرٌ وأبقى".

عندما قِيل له ذات مرَّة بأن المنطقة تشحُّ بالأطباء ووجوده مهمٌّ للمحاصَرين، فلماذا لا يترك القتال ويتفرَّغ للعلاج والخطابة، أجاب ردًا ما زال يتردَّد صداه: "أنا أحرِّضُ النَّاسَ في كلِّ خُطبة على قتال هذا النِّظام المجرم، إن لم أقرِن قولي بفِعلي كيف لهؤلاء النَّاس أن يؤمِنوا بصدق دعوتي؟!".

في آذار/مارس ٢٠١٦، وبعد معاناةٍ دامَتْ قَرابة عامَين - إثر إصابته برصاص قنَّاص غادر في حيِّ التَّضامن - ارتقى "حسّان إبراهيم مصطفى"، رحل جسدًا، لكنه بقي حيًّا في قلوب المستَضعَفِين من أهالي المخيَّم، كأحد أعلام ورموز الثَّورة السُّوريّةِ في مخيَّم اليرموك و"حيِّ التَّضامن الدِّمَشقيّ".

الطبيب خلدون الملاح.. جرّاح في زمن الحصار

كان واحداً من أبرز الأسماء حضوراً في الذاكرة الإنسانية لمخيّم اليرموك، لا لأنه الطبيب الجراح الوحيد الذي بقي هناك حتى اللحظة الأخيرة من الحصار فحسب، بل لأنه تحوّل إلى رمزٍ للثبات والجدارة والمسؤولية الأخلاقية في زمنٍ كانت فيه الحياة نفسها مهددة بالانهيار.

ولد خلدون الملاح في **حي القابون بدمشق**، لكنه ينتمي جذرياً إلى **مخيّم اليرموك**، المخيم الذي شكل هويته ووعيه ومسار حياته لاحقاً، يقع منزله المدمر خلف **مشفى فلسطين** الشهير داخل المخيّم، وهو المكان الذي شهد تفاصيل طفولته وما بقي لاحقاً من ذاكرة اليرموك.

تخرّج من **جامعة دمشق عام ٢٠٠٦** اختصاص **جراحة بولية وتناسلية**. ومع دخول المخيم في دوامة الحرب ثم الحصار، ومع كثرة الفصائل المتداخلة فيه، اتخذ خلدون اسماً حركياً هو "معاوية الثاني". لم يكن هذا الاسم مجرد ستار، بل كان وسيلة لاستمرار العمل الطبي لعلاج الناس.

حين اشتدّ حصار مخيم اليرموك، كان خلدون الملاح **الجراح الوحيد** المتبقّي داخل المخيم. في زمن كان فيه الجرحى بالعشرات يومياً، والأدوية نادرة، والكهرباء منقطعة، ونقص الغذاء قاتلاً، بقي "معاوية الثاني" في غرفة العمليات البدائية التي صنعها بنفسه. عالج الجرحى، أنقذ المدنيين، أجرى عمليات دون تخدير كافٍ، ودرّب العديد من الشباب المتطوعين على التمريض والإسعاف.

كل ذلك، فيما كان هو نفسه يواجه الجوع والخوف، وفقدان المواد الطبية وانعدام الأمان. خرج الدكتور الملاح مع المهجرين قسراً إلى إدلب فور دخول النظام البائد إلى مخيم اليرموك في عام ٢٠١٨. أصبح شاهداً على سياسة **التدمير الممنهج** للمخيم بعد خروج تنظيم داعش منه، وبعد سقوط النظام البائد عاد ليُمارس نشاطه في مخيم اليرموك ويُعيد الحياة لأهله.

رامي أحمد بكر.. لوجستيُّ المشافي الميدانيَّة

وُلِد الشَّهيد "رامي" في مدينة حمص بتاريخ ٢٢ حزيران/يونيو عامَ ١٩٨٠، وتلقّى تعليمَه الابتدائيَّ في المملكة العربيَّة السّعوديَّة، وأكمَل المرحلة الإعداديَّة في مدارس "أونروا" بمدينة حمص.

كان مُتزوِّجًا، ورُزِقَ بثلاثة أطفال هم: أحمد ومحمد وجنى.

اعتُقِل الشَّهيدُ بتاريخ ١٤ نيسان/ابريل عامَ ٢٠١٢م، عند السَّاعة الثَّانية عشرة ظُهرًا، على حاجز الكومفاي، وعمل جاهدًا في صفوف تنسيقيَّات الثَّورة السُّوريّة، مُسهِمًا بجهوده الإنسانيَّة في المشافي المَيدانيَّة، حيث تولَّى تأمينَ الموادِّ الطِّبِّيةِ وأكياس الدَّم والمُتبرِّعين بالدم، كما كان يساهم في نقل الجرحى والمصابين بعيدًا عن بطشِ "النِّظام" الظالم والمستَبِدّ.

قبل اندلاع الثَّورة، كان الشَّهيدُ من النُّشطاء الاجتماعيّين المعروفين في حمص، إذ شغِل منصِب "قائد كشفيٍّ لمفوَّضية حيفا" ضمن "الكشَّاف الفلسطينيّ في سوريا"، عُرفَ في "حيّ المخيَّم" و"حيّ الشَّمَّاس" بأخلاقه العالية وسُمعته الطَّيِّبة وتواضعه بين النَّاس.

قضَى تحتَ التَّعذيب في سجن صيدنايا، على يد "النِّظام السُّوريّ البائد".

مُهنَّد عُمر.. صحفيٌّ حرٌّ في وجهِ الكذِب والظُّلمِ

ولدَ في مخيَّم اليرموك عامَ ١٩٨٥م، لهُ ولَدان، درَس الأدَب العربيَّ في جامعة البعث بحمص، وبدأ حياتَه العمليَّة الصحفيَّة مُتنقِّلًا في عمَله الصَّحفيّ من "مُؤسَّسة القُدس الدَّوليَّة" ثمَّ إلى "قناة العالَم الإخباريَّة" مكتب دمشق، وعمِل في صحف عديدةٍ مثل: "قاسيون" و"النَّهضة" و"بلدنا" و"صوت فلسطين".

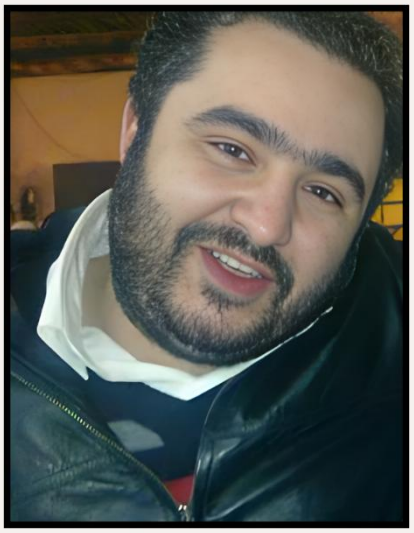

وشارَك في "مسيرةِ العودةِ في ١٥ أيّار/ مايو ٢٠١١، واستطاع الدخولَ الى الجولان المُغتَصب مع مجموعة كبيرة من الشَّباب الفلسطينيّ.

تروي والدتُه: "مع بدء الثَّورة خرَج لِتغطيةِ أحداثِ "مسجد العُمَريّ" بدرعا، فوضَع عناصرُ النِّظام أسلحةً وأموالًا ودماءً في المسجد ليُظهِروا للعالَم أنَّ المسجد كان مشفىً ميدانيًّا، هذا الكذبَ والنِّفاق جعلَ "مهنّد" يتمرَّدُ على "النِّظام السُّوريّ" ومواليه، وتحوَّل بعدها إلى صحفيٍّ وناشطٍ في تنسيقيَّات الثَّورة السُّوريّة

ومشاركًا فاعلًا في المظاهرات المعارضة لـ"النظام السُّوريّ"، بل وتنسيقِها أيضًا إلى جانب عدد من النَّاشطينَ.

بدأ يكتب على صفحته في الفيسبوك كتاباتٍ تتحدَّث عن أوضاع السُّوريّين والفلسطينيين وعن ممارسات النِّظام القمعيَّة وخاصَّةً بعد أحداث "مخيَّم الرَّمل الجنوبيّ" في اللَّاذقية.

حاولَتْ عائلتُه تهريبَه من سورية عدَّة مرَّاتٍ، لكنه كان يؤمِن بضرورة الاستمرار بالتَّظاهُر، وكان أكثر إيمانًا بقرب سقوط "النِّظام"، إلى أن اتَّصل بالعائلة مديرُ "قناة العالم": "حسين مُرتضى" وطمأنَ العائلة أنَّ مشكلةَ "مهنّد" قد حُلَّت مع "الأمن السُّوريّ"، ويستطيعُ أن يأتيَ لِيأخُذ راتبَه الشّهري.

وبعدَ وصولِه لمبنى القناةِ يوم ٢٩ شباط/ فبراير عام ٢٠١٢م، اعتقلَه عُنصرين من فرع "أمن النِّظام السُّوريّ" (الخطيب)، ومنذ ذلك الحين، ظلَّ مصيرُه مجهولًا حتى جاءت شهادة الدّكتور "حمزة" لِتُؤكِّد إعدامَه في سجن صيدنايا، ونفِّذَ الحكم بحقّ "مهنّد" في ٢٥ رمضان ١ آب أغسطس ٢٠١٣.

حسَّان حسَّان.. فنانُ الحصارِوقصيدةُ الصَّمتِ

مُمثِّلٌ ومخرج مسرحيٌّ ومخرج أفلام قصيرة، نشَط فنيًّا خلال الثَّورة السُّوريّة، وقدَّم أعمالًا مسرحيَّةً منها: "سبعُ دقائقَ تكفي" و"سوكة"، وساهَم مع مجموعةٍ من الشَّباب في تأسيس مجموعة "ردِّ فِعل"، قدَّم فيها مجموعةً من المقاطع المصوَّرة " السكيتشات" التي تتحدَّث عن واقع المخيَّمات الفلسطينية قبلَ وبعد الثَّورةِ وخلال حصار اليرموك،

وكان من ضمنِها برنامج "على هوى الحكي"، ثمَّ عمل على برنامج "على هوى الحصار" من تمثيلِه وإخراجه، انتقدَ فيه الجهات المسلَّحة الموجودة في المخيَّم إضافة إلى ممارسات "النِّظام"، ووَثّق "حسّان" خلالَها مرحلةَ الحصار في مخيَّم اليرموك والمنطقة الجنوبية

قال "حسان" في فيلم شباب اليرموك: "لو فيني (أستطيع) أشتغل كل سنة مسرحية وأقدّمها في المخيَّم لكنت رضيان وما بدي (لا أريد) غير هيك (ذلك)"، وبحسب أصدقائِه، شارَك "حسَّان" في تنسيقيَّة مخيَّم اليرموك خلال الثَّورة السُّوريّة.

بعد استمرار حصار المخيَّم قرَّر "حسان" ترْك اليرموك وعند وصولِه الى حاجز "سبينة" اعتُقِل مع زوجته التي أطلقوا سراحها في نفس اليوم، فيما بَقِي "حسّان" معتقلًا لدى "فرع الأمن العسكري" رقم ٢٣٥، المعروف بِاسم "فرع فلسطين"، في دمشق.

لم تتمكَّنْ عائلةُ "حسّان" من معرفة مصيره، وأصبح في عداد المُختَفين قَسريًّا، إلى أن تلقَّتْ العائلةُ بتاريخ ١٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣م، خبَر مقتلِ ابنِها من قِبَل أمن "النِّظام السُّوريّ"، وسلَّمهُم وثيقةً تُفيد بوفاته بتاريخ ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣م.

كتبَتْ والدتُه: "ع أساس رايحة أشوفُه حكولي هو بالشُّرطة العسكريّة، اشتريتله كل شي ممكن يحتاجه من ثياب ودخان وبجامة فحكولي أنه مرِض ومات، بكلِّ دمٍ بارد: مات؟؟ وينه؟؟ عطوني إياه رجْعولي إبني..."

وتضيف الأم: "بالنسبة لهم شَطبة قَلم على اسم أو رقم بسجلاتهم وكأن شيئًا لم يكُن! نسو أنه إني ربيته وكبّرته وعلمته كل "شبر بْنَدر" ٢٦ سنة ما غاب عنّي، يا إمي! نسو أنك قطعة منّي، ربّي راح يسامحني لأني ما راح أسامحن لأنه وحدَه الي يعرف وجَع قلبي منشان ما أخجل اطّلع بعيونك لما الله يَجمَعنا سوا".

بشَّار مُصلح، وعلي المُصلِح.. رُفقاء الثَّورةِ والإعلام الحرّ

من بين أوائلِ الثُّوار الأحرار الذين حمَلوا لواء الحُرّية والكرامة في "مخيَّم خانِ الشِّيح" بريف دمشق، يبرزُ اسما الشَّابَّين "بشَّار تيسير مصلِح" وابنِ عمّه "علي عبد الكريم المُصلِح"، رفيقا الدَّرب الذيْن ارتقيا معًا في سجون "النِّظام السُّوريّ البائد".

كان الشَّهيدان، وهما من أبناء "مخيَّم خان الشِّيح"، من أصحاب البَصمات الإنسانيَّة

والإعلاميَّة التي لا تُنسى، عُرِف "بشّار مُصلح (الابنُ الوحيدُ لعائلتِه)" بنشاطه الإغاثيّ والإعلاميّ في خدمة أبناء المخيَّم، وكان طالبًا في كليَّة الحقوق، وشارك هوَ وابنُ عمّه "علي المصلِح" في العمل الثَّوريّ والإعلاميّ منذ البدايات.

في حملة اعتقالات واسعة استهدفتِ النُّشطَاء في المخيَّماتِ الفلسطينية، اعتقلَ "النِّظام السُّوريّ" الشَّابَّينِ معًا بتاريخ ١١ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣، ومُنذ ذلكَ التَّاريخ دخَلا في عِداد المُختَفين قسرًا، لتُضافَ معاناةُ عائلتَيهما إلى سجلّ آلام الفلسطينيّ السُّوريّ.

بشَّار مُصلح

علي المُصلِح

وسام الغول.. أولُ شهيدٍ فلسطينيٍّ في الثَّورةِ السُّوريّةِ

ينحدر "وسام أمين الغُول" - وهو تاجرٌ ولاعبٌ رياضيٌّ يبلغ من العمُر ٣٣ عامًا - من مخيَّم درعا للّاجئين الفلسطينيّين جنوب سورية، غادر والدُه قطاع غزَّة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م، واستقرَّ في درعا بعد أحداث الأردنِّ عام ١٩٧٠م، وهو مُتزوّجٌ وتركَ وراءَه أربعةَ أبناءٍ.

كانتْ ليلةُ الأربعاء، ٢٣ آذار/مارس ٢٠١١م، نقطةَ تحوُّلٍ دمويّة في مسار الثَّورةِ السُّوريّة، حيث شهِدتْ ساحةُ "المسجد العُمري" في درعا أوَّل مجزرة ترتكبها "قوَّاتُ النِّظام" بحق المُعتَصمين السِّلميّين، وفي قلب هذا الحدث، سُطِّرتْ قصَّةُ أوَّلِ شهيد فلسطينيٍّ في الثَّورة السُّوريّة، وهو الشَّاب "وسام أمين الغُول".

في تلك اللَّيلة المُرعِبة، لم يكُن "وسام" مشارِكًا فحسبُ، بل كان يُجسِّدُ أعلى درَجات الإنسانيَّة والتَّضامن، ومع بدء الاقتحام حينما هاجَم مئاتٌ من قوَّات "أمن النِّظام" المُعتَصمينَ الَّذين افترَشوا الأرض، تحوّلَتِ السَّاحةُ إلى ميدانِ قصفٍ وغدر، فلَم يتردَّد "وسام الغول" حينها في محاولة إنقاذ حياة الآخرين.

ارتقى "وسام الغول" شهيدًا برصاص قوَّات "أمن النِّظام السُّوريّة" فقط لِمُجرَّد نقلهِ اثنين من الجَرحى السُّوريّين المشاركين في الاحتجاجات إلى المشفى، اخترقَتِ العياراتُ النَّاريةُ جسَده، ليسقط دمه على أرض درعا، مختلطًا بدم إخوته السُّوريّين.

علاء السَّهلي.. أوَّلُ شهيدٍ فلسطينيٍّ برصاص "النِّظام السُّوريّ" في مخيَّم اليرموك

في لحظة تاريخيَّةٍ فارقةٍ، كتَب الشَّهيدُ البطَل "علاء السَّهلي" اسمَه بأحرفٍ من نورٍ كأوَّلِ فلسطينيٍّ سوريٍّ من أبناء مخيَّم اليرموك يُضحِّي بروحه ودمِه فداءً لثورة الحرِّية والكرامة، وكان ذلك بتاريخ ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١م.

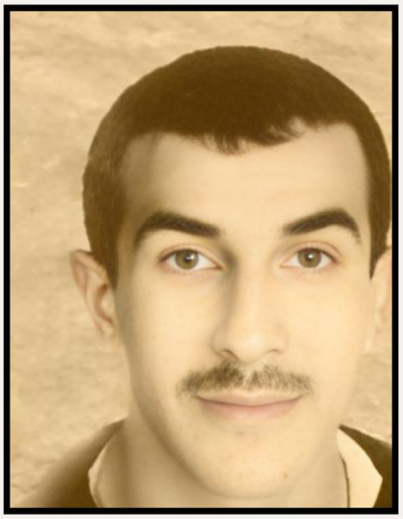

"علاء"، الرَّجُل الطَّيِّبُ الخلوقُ، خرَج من مخيَّم اليرموك ليشاركَ في تشييع جثمان الطِّفل السُّوريّ الشَّهيد "إبراهيم محمَّد شَيبان" في حيّ المَيدان المجاور، وتحوَّلت الجنازة في ذلك الوقت إلى مظاهرةٍ عارِمة تطالبُ بإسقاط "النِّظام"، فصدَح علاءُ معَ إخوته السُّوريّين بشعارات الحرِّية والكرامة.

بعد انتهاء الدَّفْن، هاجمَ "الشَّبِّيحةُ" المظاهرةَ، ليُصابَ "علاء" برصاصةٍ غادِرَةٍ اخترقَتْ حنْجَرته التي كانَت تَصدح بالحقِّ، ليرتقي شهيدًا بإذن الله، وتختلِط دماؤُه الفلسطينيّةُ بالدِّماء السُّوريّة على أرض حيّ الميدان الدِّمشقيّ.

خوفًا من اشتعال مخيَّم اليرموك، ضغطَتْ أجهزةُ "أمن النِّظام" القمعيَّةِ على عائلة الشَّهيد لدفنِه في الصَّباح الباكر وتجنُّب التَّشييع، إلا أنَّ أحرار المخيَّم رفضوا الإذعانَ، فخرَجوا عقِب صلاة الظُّهر في اليوم التالي أي في ١٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١ في مظاهرةٍ وتشييعٍ رمزيٍّ من أمام "مسجد فلسطين".

جابَتِ المظاهرةُ شوارعَ المخيَّم وسَط هتافات "بالرُّوح بالدَّم نفديك يا شهيد" و "سوريا نحنا معاكِ للموت"، لتبدأ رسميًّا ملامحُ الفصلِ العظيم من مشاركة الفلسطينيّين الأحرار في الثَّورة السُّوريّة، مشاركةً لا يُمكن محوُها، وخُطَّتْ بالدِّماء والأشلاء على مذبح الحرِّية.

خالدُ البنَّا.. أوَّلُ شهيد من أبناءِ "مخيَّمِ الرَّمْلِ" في الثَّورةِ السُّوريّةِ

في ربيعِ عامِ ٢٠١١، ومع تصاعُدِ صوتِ الحراك المُطالِب بالحُرّية، استيقَظ مخيَّم العائدين (الرَّمل) في اللَّاذقية على أصواتٍ لم تكُن مألوفةً، لِتُسطِّرَ قصَّة الشَّاب "خالد حمدان البنَّا"، الذي أصبح أوَّلَ شهيدٍ للمخيَّم.

خالد، فلسطينيٌّ ينحدِر من مدينة يافا، خرَج في تلك اللَّحظات من بيته حاملًا يقينَه بأنَّ الوقوف مع المظلوم واجبٌ لا يحتمِلُ التَّأجيلَ.

في منطقةٍ تقَعُ بين مدرسَتي "الخيريَّة" و"يوسف ندَّاف"، كانت المواجهات تشتدُّ، ورغم أن "خالد" لم يكن يحملُ سلاحًا، لكنَّه كان يحمِل عزيمةً وحُلُمًا بالعيش بكرامة وحرّيّةٍ.

من جهة "معسكَر الطَّلائع"، دوّى صوتُ قنَّاصٍ، فاخترقَتْ رصاصة غادرةٌ جسد "خالد"، لِيسقُطَ الشابُّ الذي لم يتجاوز عُمر الورد على الأرض، وتفارق الابتسامة وجهَه، كان ذلك في ١٠ حزيران/يونيو ٢٠١١.

إسماعيل فلاحة أحد مؤسسي ثورة درعا وبطلها المنسي

قد لا يكون اسم إسماعيل فلاحة، أبو أمين، الأكثر تداولاً في حوارات الثورة خلال السنوات الأخيرة، وربما لم ينل نصيبه من الانتشار كما يستحق، غير أن من عاشوا بدايات الحراك الشعبي في سورية، أولئك الذين هتفوا للحرية عام ٢٠١١ وواجهوا الرصاص بصدورهم في درعا، يعرفون هذا الاسم جيداً... يعرفونه كما يُعرف رجالُ الصفوف الأولى، الذين لم يسعَ أحدٌ لتسليط الضوء عليهم، بل صنعوا تاريخهم بصمت، وكتبوا سيرتهم بدمهم.

إسماعيل، ابن مخيم درعا، نشأ في بيتٍ شبع نضالاً؛ فوالده وأعمامه حملوا السلاح ضد الاحتلال الإسرائيلي، وظلّت روح المقاومة جزءاً من تكوينه منذ طفولته لم يكن من أولئك الذين *يلتحقون* بالثورة، بل كان من الذين *يصنعون* بدايتها ويحددون خطوطها الأولى، منذ اللحظة التي خرج فيها أهل درعا يطالبون بالحرية والكرامة.

منذ الأسابيع الأولى للحراك، أخذ إسماعيل على عاتقه حماية المظاهرات السلمية، وقف بين المتظاهرين والرصاص، وحوّل جسده إلى درعٍ بشريّ لمن خرجوا يهتفون دون خوف، ومع تطور الأحداث وازدياد بطش النظام، وجد نفسه بطبيعته الثائرة وروحه المقاتلة في الخط الأول للدفاع عن درعا البلد، في شهر نيسان/أبريل ٢٠١١، جنباً إلى جنب مع رفاقه الأوائل.

كان مقاتلاً ومدرّباً وصانع عبوات في آنٍ معاً، لا يعرف معنى التراجع أو الاستراحة؛ الليل عنده امتداد للنهار، والعمل واجب لا ينتهي. قاتل على أرض حوران من شرقها إلى غربها، حارساً لأهلها، وفياً لثورتها، ومؤمناً أن درب الحرية يستحق كل ما يُبذل من تضحيات.

لكن الخيانة كانت تنتظر خطوته التالية.

في ثاني أيام عيد الفطر، الموافق 1أيلول/سبتمبر ٢٠١١، استُدرج إسماعيل إلى أطراف المخيم بحجة إحضار طعام من أحد المطاعم الشعبية، هناك كانت تتربّص به مجموعة تابعة للأمن العسكري، أُسر الشاب الذي أرعب أزلام النظام، والذي تحوّل اسمه إلى كابوسٍ يطاردهم. اختطفوه إلى أقبية الظلام، حيث التعذيب والحقد، قبل أن يُحول إلى أكثر السجون وحشيةً في تاريخ سورية الحديث، سجن صيدنايا.

ومنذ ذلك اليوم، اختفى إسماعيل فلاحة للأبد، غاب مع آلاف السوريين والفلسطينيين الذين ابتلعتهم أقبية الموت، ولم يعد أحد يعرف عن مصيره شيئاً، لكن ذكراه بقيت، تحضر كلما ذُكرت الثورة، وكلما تحدّث أحد عن رجالها الحقيقيين.

إسماعيل ليس مجرد اسمٍ كاد يُنسى، إنه صفحة ناصعة من صفحات الكرامة، ورمزٌ لجيلٍ لم يساوم، ولم يتراجع، ولم يبدّل.

محمد عريشة أبو العبد. شهيد الإغاثة

في يوم ٢٠ ديسمبر ٢٠١٤، فقد مخيم اليرموك أحد أكثر رجاله تفانياً وإنسانية، وهو الناشط الإغاثي محمد يوسف عريشة، الملقب بـ"أبو العبد عريشة"، بعد تعرضه لعملية اغتيال غادرة.

لم يكن أبو العبد قائداً عسكرياً أو سياسياً، بل كان ناشطاً إغاثياً حمل "همّ أهله المحاصرين على راحتيه وكتفيه"، عمل بصمت في أصعب السنوات، ووقف بين الردم والركام، وتحت القنص والقصف، ليؤمن الغذاء والدواء للمستضعفين داخل المخيم.

- أسس مؤسسة "همسة الطبية."
- أصبح لاحقاً مسؤولاً عن "تجمع أبناء اليرموك "والمكتب الإغاثي للمخيم.
- كان عضواً في الهيئة الخيرية لإغاثة الشعب الفلسطيني وأدار الملف الطبي فيها.

في بداية عام ٢٠١٣، قاد أبو العبد حملة لإغلاق الأبواب التي خلعتها "المعارضة المسلحة بكل مشاربها"، وساهم في إعادة عدد من سيارات الأونروا، في محاولة للحفاظ على ما تبقى من ممتلكات المخيم.

في ٢٠ ديسمبر ٢٠١٤، وبينما كان أبو العبد متوجهاً إلى عمله في المكتب الإغاثي بالقرب من شارع لوبية داخل المخيم، استهدفه مجهولون على دراجة نارية برصاص آثم وغادر.

أصيب بجروح بالغة، ونُقل على إثرها إلى خارج المخيم لتلقي العلاج وإجراء عملية جراحية في مشفى التقوى المركزي، إلا أن جميع محاولات إنقاذه باءت بالفشل، ليرتقي شهيداً عن عمر يناهز الـ ٤٥ عاماً.

سوسن علوش أم أحمد... امرأة حملت المخيم في قلبها

من بين الأزقة الضيقة لمخيم اليرموك، حيث كانت البيوت تتكئ على بعضها خشية السقوط، بزغ نورٌ صغير ظلّ يُضيء رغم العتمة القاسية... ذلك النور كان **سوسن علوش، أم أحمد**.

لم تكن اللاجئة الفلسطينية أم أحمد مجرّد عنصر في الكادر الطبي للهلال الأحمر الفلسطيني داخل **مشفى فلسطين**، بل كانت واحدة من شرايين الحياة القليلة التي ظلّت تنبض في مخيم اليرموك الذي حاصره النظام السوري البائد.

عملت بصمت، حتى في أكثر اللحظات خوفًا، لم تكن تعالج المرضى فقط، بل كانت تبحث عن لقمة ما تشارك بها المحتاجين، خبزها القاسي الذي بالكاد يكفيها كانت تقسّمه بين طفل مريض أو امرأة عجوز تنتظر معجزة للبقاء.

عرفها الجميع بأنها لا تميّز بين أحد، ولا تسأل عن انتماء ولا عن موقف، كانت تؤمن بأن رسالة الطب والواجب الإنساني أوسع من كل خلاف، حين كانوا يشكرونها، كانت ترد ببساطة تُشبهها: **"هذا واجبي... و أنتم عائلتي"**.

في زمنٍ كانت القذائف تُسقط البيوت، والحصار يُسقط الأجساد، كانت أم أحمد تُعيد رفع الروح في الناس، تهدّئ الأمهات، تُمسك بيد المرضى، وتذكّر الجميع بأن آخر ما يجب أن يخسروه هو إنسانيتهم.

بعد سنوات من التفاني والعمل في ظروفٍ لا تُطاق، رحلت أم أحمد ليس بسبب رصاصة أو قذيفة، بل بسبب مرض أنهكها بعد أن استنزفتها سنوات الحصار والخدمة المتواصلة، رحلت بصمت كما عاشت... لكن أثرها لم يرحل، كان ذلك في تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠٢٥ تركَت وراءها إرثًا من الطيبة والرحمة، وقصة ستظلّ شاهدة على أن البطولات الحقيقية لا تُقاس بالقوة، بل بالقلوب التي لا تتوقف عن العطاء حتى اللحظة الأخيرة.

يصفها أهل اليرموك بأنها كانت "الجندي المجهول" في مشفى فلسطين، لا تعرف الكلل، ولا تنتظر مقابلًا، عاشت لأجل الآخرين، وظلّت حتى آخر أيامها سندًا وملاذًا لأبناء المخيم والمناطق المجاورة، ومع رحيلها، يستعيد الناس ذكرياتها: بصماتها في ممرات المشفى، خطواتها التي حملت الدواء والطعام، ووجهها الذي حمل طمأنينة في زمن انهار فيه كل شيء.

الخاتمةُ

لقد شكَّل حضور اللَّاجئين الفلسطينيين في الثَّورة السُّوريّة واحدةً من أبرز صفحات التَّضامن الإنسانيّ والنِّضال المُشترَك في التَّاريخ الحديث، فخلال سنوات الحرب الطَّويلة، لم يكُنِ الفلسطينيُّ مجرَّد شاهِد، بل كان شريكًا فعّالًا في ميادينها كافَّةً: الإغاثيَّةِ والطِّبّية، والتَّعليميَّة، والعسكريَّة، والإعلاميَّةِ.

من الميدانِ إلى المشفى، ومن المَطبخ الخيريّ إلى خطوط الإمداد، ومن الحصار في اليرموك إلى الأنفاق في الغوطة، نسج الفلسطينيُّون خيوطَ عطاءٍ لا تنقَطِع، فقد قدَّم عشَراتُ المُتطوّعين حياتَهم في سبيل إنقاذ الجرحى والمحتاجين، بينما اعتُقِل المئاتُ منهم أو هُجّروا قسرًا عن أماكن سكَنهم، وما تزالُ قصصُهُم شاهدةً على حجم الفِداء والالتزام الإنسانيّ.

في شخصياتٍ مثل: **فاتِن أمّ سميح**، التي حوَّلَتِ الجوعَ إلى مائدة رحمةٍ، أو الأطبَّاء والممرّضين الذين عملوا في المشافي الميدانيَّة تحت القصف، أو الشباب الذين حمَلوا السِّلاح دفاعًا عن المدنيّين، نجِدُ تجسيدًا حيًّا لروحٍ فلسطينيَّةٍ وسوريَّةٍ واحدةٍ، امتزجَ فيها الحُلم بالحُرّية مع الإصرار على الحياة.

لقد أكَّدتِ التَّجرُبةُ أنَّ الهُويَّة الفلسطينيَّة في سوريا لم تكُن حاجزًا، بل كانت جسرًا إنسانيًّا بين قضيتين، وساحةً للوفاء المُشترك لقيم الكرامة والعدالة، فامتزاج الدَّمِ الفلسطينيّ بالدَّم السُّوريّ لم يكُن صُدفةً، بل نتيجةً لوحدة المصير والتَّاريخ، إذِ اجتمعَ الشَّعبانِ على هدفٍ واحد وهو :**أن يعيشَ الإنسانُ حُرًّا فوقَ أرضٍ آمنةٍ كريمةٍ.**

ورغمَ القهر والخُذلان والشَّتات الجديد، ما زالت قصصُ الفلسطينيّينَ في الثَّورة السُّوريّة تروى كحكاياتِ شرفٍ وبطولةٍ، تُذَكِّر الأجيالَ بأنَّ التَّضامن لا يُقاسُ بالشِّعارات، بل بالفعل والإيثار في أحلَك اللَّحظات، إنَّها حكايةُ **"دمٍ واحدٍ... وحُلُمَين "**- حلمين بالحرّية والعودَة، يلتقيان في نبضٍ واحدٍ، وفي ذاكرةٍ لا تموتُ.

مجموعة العمل
من أجل فلسطينيي سورية
Action Group For Palestinians of Syria

86-90 Paul Street, London, EC2A 4NE,UK

+442039293884

www.actionpal.org.uk

info@actionpal.org.uk

9 780201 379655